حسن أشرف

غرائز البشر الحيوانية

قصص قصيرة

غرائز البشر الحيوانية

اسم الكتاب: **غرائز البشر الحيوانية**

اسم المؤلف: **حسن أشرف**

تدقيق لغوي: **أمل حسن**

تصميم الغلاف: **عبد الرحمن محمد**

تنسيق داخلي: **ساندي شريف إبراهيم**

رقم الإيداع: **٢٠٢١/١٣٤١٩**

الترقيم الدولي: **٩٧٨٩٧٧٦٨٨٧٤٩٧**

جميع الحقوق محفوظة للناشر©

أى اقتباس أو تقليد أو إعادة طبع أو نشر دون موافقة كتابية يعرض صاحبه للمساءلة القانونية والآراء والمادة الواردة.

وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالكاتب فقط لا غير.

إبهار
للنشر و التوزيع

E-mail: ebharpuplishing@gmail.com

تليفون: **٠١٠٦٠٢٦٧٤٠١**

حسن أشرف

غرائز البشر الحيوانية
(مجموعة قصصية)

إبهار
للنشر و التوزيع

الإهداء

- إهداء إلى أبي وأمي دومًا.

- إهداء إلى خالتي منى فاروق وخالي أحمد فاروق ومحمد فاروق, الذين يفرحون لي دائمًا، وأعلم علم اليقين أنهم سعداء لأجلي.

- إهداء إلى المستشارة "مها محمد صبحي" ولها جزيل الشكُر.

إهداء

إلى الشـــعب الســـوري الشـــقيق ذو القلب الطيب وبالأخص:

- الأخت والصديقة "مريم محمد برهوم" التي يغمُر قلبها الود والطيبة.

- والأخوات والصـــديقات "كوثر الشـــيخ وزينب الشـــيخ" اللتان يفرحان لكُل نجاح أقوم به، لأن قلوبهن لا يشـــبوه غبار الحقد والكره، فهن يحملان دائمًا الإنسانية التي فقدها أغلب البشر، وأعلم أنهن ســـعداء وأتمنى لهن حياة مليئة بالفرح والســـعادة كقلوبهن.

إهداء

إلى الشـــعب الجزائري والعراقي واللبناني والمغربي وكل شعوب العالم.

- إهداء إلى الصـديقة "لمياء علاء الأعصر" التي دائمًا تهتم وتتابع كل جديد لي، مُتمنيَا أن تنال هذه المجموعة القصصية إعجابك.

- إهداء إلى كُل شخص ما زال يراني فاشلًا.

- إهداء إلى الكاتبة والشـــاعرة الموهوبة "فاطمة العبد" مُتمنيَا لها التوفيق والنجاح في مســـيرتها الأدبية.

تمهيد

- مرحبًا بك عزيزي القارئ في "غرائز البشر الحيوانية".

***

البهلوان من شدة إضحاكه للجمهور، فالاكتئاب يأكل روحه شيئًا فشيئًا، وسيأتي اليوم الذي يجبر نفسه فيه على الانتحار في إحدى عروضه الخطيرة.

***

كفاك تحطيم في روحك بالكتمان، فعجزت الدموع عن الخروج، وأزرقت أطراف جسدك فالأزرق يدل على عجزك.

***

ميولٌ انتحارية مسيطرة ودائمًا أكبح جماحها،
ولكنها تعوي داخل رأسي كالكلاب بنباحها.

***

يريد عناق يداوي الطعنات التي تلقاها، عناق يطيب الجرح الماكث داخله، ولكنه كان عناق خرج منه صخرة حطمته باكيًا.

***

لم أجد مَن يفهم ما بداخلي، لستُ مهتم، قلبٌ مُفْعَم باللا شيء، فإصـــابة النفوس بالعفن، جعلونا من الداخل نرتدي كفن عدم البوح.

***

سيتمكن الشر من الامتداد أكثر وأكثر، وستلجؤون لشراء الخير من نظرات الباعة المتجولون.

***

كانت فضــفضــته ســيئة للجميع، حين قام بمعرفة قدر نفســه، ولعن ذلك اليوم الذي باح فيه عن معاناته، لأنه كان طُعم لأسماك القروش الذين يتظاهرون بالدلافين.

***

جميع البشر ملائكة طاهرون، حتى تثبت إدانة القبح.

***

كلٌ من الطرفين يدعي أنه مظلوم، والجميع مخطئ.

***

ما أجمل ارتداء معطف المثالية! وبداخلهم ثعالب ترتدي رداء الواعظين.

***

"كش ملك"

انبطح على الأرض، ينتظر تحقيق الفوز بالخداع وعدم الاكتراث لأي مجهود شخصي والانصياع لرغباته، أفرغ جميع ذخائره على الطاولة المستطيلة، ورفع الراية البيضاء معلنًا السلام الوهمي، بعد أن كان على شفا حفرة من الموت، يراقب بكُل خبث بنظراته الخداعة للمحيطين مداهنًا مَن حوله من جنود، ويهتف دائمًا للحرية يا ذا اللحية البيضاء الناصعة والبذلة العسكرية المرصعة بالنجوم " الحرية أساس ويجب عليكم الإفراج عن جميع الأفكار المعتقلة وتصرحوها للعلن دون إخفائها، ليصمت صوت العبودية ولتحيا الحرية ".

- سوف نُلبي جميع رغباتك السوية منها والغير سوية. ماذا تُريد أن تصنع؟

أولًا: أريد شطيرتان برغر.

ثانيًا: عبوة سم.

ثالثًا: ضعوني داخل الزنزانة وأقفلوا الباب، وأجعلوا ذلك الحارس المفتول العضلات ليقوم بواجب حمايتي من الهرب.

- لكن، لماذا السم؟

أخاف الجرذان أيها القائد، الشطيرة الثانية غداء الجرذان.

- لك الحق في ذلك كما وعدتك، ما دُمت ستكون داخل السجن لا محالة ولا مجال للهرب ونرتاح من أفعالك أيها البغيض، ناجي أجمع أيها الحارس، فلتذهب وتجلب شطيرتان برغر وعبوة سم، وقبل الذهاب ضع ذلك المتهم المُكبل بالأغلال داخل زنزانة وحيدًا، ليتأدب ويخرج من هنا صالحًا وليس طالحًا.

- عُلِم ويُنفذ يا فندم.

على رسلك، لا تجعلني أتألم من الأصفاد يا ذو الجسد المفتول المتناسق الملائم لحلبات الملاكمة التايلاندية، أشعر أنك تُشبههم، هل كنت تمارس تلك الرياضة من قبل؟

- قد مارستها عدة مرات، لكنني أفضل الذهاب إلى الصالة الرياضية لرفع الأثقال، نظرتك تبدو ثاقبة وعميقة تفهم كل شيء بسهولة بالغة.

لا داعى للمدح.

- ليس مدحًا بل حقيقة، هيئتك تدل على أنك شخص طموح متعلم ناضجًا.

شكرًا لك، ها قد وصلنا إلى تلك الزنزانة، أتعبتك معي.

- هذا أمر ويجب علي التنفيذ، سأقوم بشراء السجائر إذا كنت تُدخن.

حسنًا لا مشكلة، فالوحدة التي سوف أعيشها تحتاج إلى النيكوتين.

أغلق الباب علي وهذه اللحظة التي أنتظرها وهو الانتقام، غريزة الشر داخلي كغريزة البقاء، ذلك الرجل القائد الذي يرى نفسه دائمًا في مرتبة عالية من الشرف، أتذكر هيئته جيدًا. على الرغم من تجاعيده فهي تزيده جمالًا ووسامة، يرتدي قبعة صغيرة ممزوجة بألوان مختلفة ونظارته زرقاء اللون وجسده ليس رياضيًا لكنه متناسق وبذلته نظيفة من الشوائب وحذاء صحي ولامع، وهو شخص اجتماعي ويعامل المساجين بكُل ود واحترام، وهذا يُثير غرائزي الشريرة نحو بقائي شامخ الكيان الغاضب بصمت وهدوء ولكن آن الأوان من تحقيق هدفين في هدف واحد، ما هذه الغرفة أنسجة العنكوب تملأ جوانب الحائط، يوجد زر على الباب داخل الغرفة أظنه لاستدعاء الحراس وأسفله مقعد مهترئ، ماذا لو تم فضح أمري؟ سيتم إعدامي رميًا بالرصاص، وفجأة دقت الطبول لاستقبال القائد إسماعيل فله التحية والتقدير، لكنني سوف أحل مكانه وأصبح القائد لأنني سبق وكنت ضابط هنا، لكن دائمًا أحب الشغب ملفي الشخصي به الكثير من المشاغبات والعقوبات التي تنتهي بسجني وحيدًا، أمر عجيب في تلك

الغرفة مختلفة عن بقية الغرف التي دخلتها من قبل، ها قد أتى الحارس به، أهلًا أيها الحارس جيد أنك لم تتأخر، جائع جدًا.

- تفضل، القائد إسماعيل سيأتي ليتحدث إليك.

لا بأس، فلتأكل معي.

- شكرًا لك.

قام بتوزيع السم في إحدى الشطائر، ووضعها جانبًا بعد أن تم غلق باب الغرفة عليه مجددًا ولم يلاحظ الحارس فعلته هذه، وسمع صوت صفارة الحارس وصوت قدمه الصادمة بالأرض بقوة كتحية وإجلال للقائد الموقر.

- هل هو بالداخل أيها الحارس ولم يهرب؟

نعم أيها القائد يأكل فحسب.

- حسنًا، قم بفتح ذلك الباب.

مرحبًا أيها الضابط أدهم، كيف حالك؟ عساك بخير، ألن تكُف عن المشاغبة ملفك ممتلئ؟ أظن يكفي ذلك قبل أن تذهب إلى محاكمة عسكرية ولن ترى زوجتك وأولادك مرة ثانية، بل ولن ترى الشمس، لكنني سأسمح لك بالخروج ومعي أوراق لترقيتك لنفس المرتبة التي أنا عليها، هل ستفعل التعليمات؟

معي شطيرتان، تفضل واحدة بمناسبة هذا الخبر السعيد ونظراته مملوءة بالشر و الضغينة، ما هي التعليمات؟

- قم بالإمضاء على ملفك الجديد الخالي من المشاغبات والعقوبات ولتستلم عملك بشكل جيد، أظن أنه لا يوجد فرصة مثل تلك، لا تفعل أي شيء يدل على نواياك السيئة، لقد أعطيتك جميع الفرص لتستمر ولتكون أفضل من السابق، أن تتخطى وتتجاوز غضبك وتتحكم به ولتكن واسع الصدر وتقبل كل شيء بصدر رحب.

هل أعجبتك شطيرة البرغر أيها القائد أعلم أنك تحبها؟

- نعم، لكن أشعر بدوار قليلًا.

ماذا بك أيها القائد؟

- شطيرتي فاسدة أظن البرغر فاسد، أشعر باختناق وضيق، وكأنها نهايتي وأنا مصاب بوعكة صحية عديدة من أمراض الصدر، وصيتي لك أن تحافظ على المرتبة التي أعطيتها لك.

أيها الحارس أذهب وأجلب الطبيب المعالج في الحال، القائد متعب كثيرًا، ويخرج أشياء بيضاء من فمه ولا يقوى على الحديث، تبًا أين عقاقيره الذي كان يحملها معه دائمًا؟

- أفسح الطريق أيها الضابط أدهم قد أتى الطبيب، يضع يده على رقبة القائد إسماعيل، ويضع سماعات الأذن على صدره معلن الطبيب وقوف نبضه خبر وفاة القائد وسيتم دفنه في مدافن الضباط وتشيع الجنازة العسكرية وجميع حقوق القائد محفوظة لأسرته وأولاده.

وحزن أدهم حزنًا شديدًا على فراق القائد، الذي قتله بدم بارد ونال مُراده بالخداع والانصياع لرغباته، وكان يهتف بالحرية التي لا يعلم

عنها شيء مُجرد هتاف كاذب يختبئ وراءه بالادعاء والمطالبة بكافة أنواع الحرية في سبيل سعادته و تعاسة الآخرين، بل وقتلهم بلا رحمة وبلا أدنى مستوى يليق بسياسات العقل البشري، إذا فسد العقل البشري فسد أخلاقه وازداد عدائه وقسوته، لأجل الوصول إلى كل ما يتعلق بأهداف يستحيل عليه تحقيقها بقوة وفتور وبلادة.

***

"انتهـاء الحفلة"

قرر الحزن استشارة الطبيب دون صاحبه، بات يسأل نفسه: وهل الحزن إنسان ليلجأ إلى الطبيب المختص بشؤونه؟ في وقت طرح ذلك السؤال على نفسه، قام الحزن بالخروج من جسده ليتحول إلى هيئة إنسان، ألا يروق لك أن تحزن مثل بقية البشر كفاك عبث وهرب من الحقيقة الوحيدة المطلقة الغير قابلة للتغيير السلمي أو الغير سلمي، بداخلك عواصف ترابية أقصد دخانية، بفعل تدخينك المُفرط الذي يكاد أن يسمح بتكوين سُحب متحركة بين رئتيك، ويمتد الدخان ويتوغل داخلك، لدرجة أنك تشعُر بجسدك يفقد قوته وأحيانًا توازنه، بحق الجحيم، ما الذي تفعله في نفسك؟ سأنسحب وستشعُر بالسعادة الأبدية أو ربما لن تشعُر بأي شيء، لم يتبقى الكثير فأنت أصبحت على حافة الموت برغبتك كونك تخليت عن شعورٍ طبيعي، تقتنع بأنه سوف يفتك بك.

- أنصت أيها الحزن قليلًا، سوف تكبر بعدد مرور الأيام، وستجد نفسك هالكًا في اللا شيء، وأمامك لائحة طويلة بها الكثير من عبثية الحياة التي لا تُقَدِر وليس لها ثمن، ثمنها هو أنت، أنت فقط لا أحد غيرك، ومنها النظر للمستقبل وهو أكبر مشاكلك المحتومة، التي تحتاج إلى سعي وتطور ذاتي لتصل إليه، وهناك أغلب البشر سيقولون لك بأن المستقبل أتركه إلى الله هو الذي يعلمه جيدًا، وبعدها سوف تفعل بكلامهم وستجد نفسك مكتوف الأيدي وأنك لست قادرًا على فعل شيء، ومن ثم ستفكر مجددًا فتصيبك لعنة الماضي السيء، الذي أنت بسببه تعيش حاضرك العابث بك، الذي جعلك تُفَكِر كثيرًا بمستقبلك المُبهَم، لكي تَصِل إلى أحلامك وطموحاتك التي يراها الجميع منبوذة ولا تَصلُح لمجتمع شرقي، لأننا أكثر مجتمع محافظ وأقذر مجتمع غير محافظ، ولكن يخفي قذارته ودائمًا ستجد أوراق تاروت الفضيلة على طاولة قذارتهُم، وقد أصابك الاكتئاب الحاد بالفعل، وتغير مجرى تفكيرك حيث تريد تغيير حاضرك لتحظى بمستقبل مليء بكل حلم من أحلامك وطموحاتك، التي تكتبها على أوراقك، وإن مُت قبل تحقيق كل ما في رأسك، سيجد أخوتك تلك الأوراق وسوف يحققوها بعدك لتنعم بالعيش الكريم داخل قبرك المجهول، ويؤسفني في القول أن تلك الحياة بالفعل مجهولة ولن تُنير قبرك المظلم، الفراعنة قامت بالعمل، وقد رأينا هذا في وقتنا الحالي أعمالهم هي التي تتكلم ولم نكن بجوارهم، ولكن شهدت أعمالهم على وجودهم، فيجب علينا أن نقوم

بتطوير الماضي من أجل تحسين مستوى الحاضر لنحظى بالعيش في المستقبل وسيكون قريبًا حينها.

وانتهى حديثهمُا، حديث النفس الأكثر عبثًا على الإطلاق، ونرى من خلال ذلك الحديث أن الإنسان منذ نشأته مهما تطور وتعلم، واحترف المهن والحرف اليدوية والعمل الحر، أو العمل الرسمي، حتى لو أصبح مهندس طبيب عالم ذرة أو أصبح ذو شأن كبير في المجتمع، سوف يكون الحزن مستمر معه ولن يغادره، سيظل يعاني من نقص ما داخله، لا يوجد بشر أصحاء نفسيًا، الجميع سيحظى بالهلاك، الألم لا يعرفه سوى أنفسنا، وكل ألم مختلف عن ما يعانيه غيرك، مع اختلاف المواقف، ووجهات النظر المختلفة والصراعات الداخلية والخارجية تشكل خطرًا كبيرًا على صحة الإنسان، كيف يتخلص من كل ذلك؟ هل النجاح كفيل بأن يجعل من الإنسان سعيدًا؟ ثم قاطع حديثه مع نفسه صديقه ياسر، أهلًا يا إسلام، كيف حالك؟ تبدو مُشتت التفكير ووجهك الذي كان يشع نورًا، أصبح معتم بعض الشيء، ما الذي تعاني منه يا صديقي؟

- ربما أكون بخير وربما لا يا ياسر، أشعر وكأن عقلي مكبل بالأصفاد. لماذا يحظى الإنسان مهما كان ناجحًا بالحزن والاكتئاب؟

هناك أسباب وعوامل كثيرة شديدة الخطورة، وعند البعض أمر طبيعي، ربما لأنك غير مفهوم من الأغلبية، ربما لقى حتفه بزواج مجبر عليه، الأوضاع يا صديقي مختلفة تمامًا عن الآخر، فالصمت كبرياء في تلك

الحالة، والوحدة والعزلة إن لم تستخدمها في صالحك لن تفعل شيئًا في المستقبل، يجب عليك البحث في الماضي عن سبب ما يقنعك بما أنت عليه الآن، لتتمكن من تغير حاضرك المعاش لتحظى بمستقبل مليء بالنجاح، ولكن أي نجاح تريد ليشعرك بالسعادة الأبدية المطلقة!

- لا أدري يا ياسر، العقبة التي تقف أمامي هي أنني مشتت ولا أعلم، ماذا أريد؟ هناك لغز عاجز عن حله، بالأحرى غافلٍ عن إيجاد الحلول المناسبة.

تجد نفسك غير قادر على فعل ما، تُجيد العمل جيدًا ومديرك يحبك، بسبب الأنشطة التي تقدمها، ولكنك غير مؤمن بما تفعله، عدم الإيمان بالشيء هو عدم الرضى لِما أنت عليه.

- صحيح كلامك، أنا غير راضي عن نفسي وعن مكاني، غير راضي عن صلاتي وعن مكان السجدة، أدمعت كثيرًا حتى ابتلت السجادة، واقتنع تمامًا بأن بعد كل عُسر يُسر، الصبر مفتاح الفرج، ولا أعلم لماذا تأخر؟ وعلى مقربة من أن أكون شخصًا لا يتأثر.

إسلام أنا أعلم ولكن عليك التفكير لوهلة، عدم قابليتك لنفسك يجعلك محطم مشتت غير جدير بالثقة بالنفس، لن تحظى باهتمام بالغ الأهمية في بداية طريقك ولكنك ستجده، لذلك الصبر مفتاح للفرج، وليس على المريض حرج، لذلك لا تكترث لِمَن يحبطوك وأن أحلامك وطموحاتك مجرد وهم، لأنهم لا يعترفون بالنجاح لا يعترفون بكونك ستكون ناجحًا، عاجلًا أم آجلًا، ولكن هم يرونك الآن

أنك قد تفوق عليهم ولا أريد معرفة الأسباب، لذلك أنت الآن تسير في الإتجاه الصحيح المعاكس لهم، هم اعتادوا الروتين نسخ متحركة، الجميع يسير في إتجاه واحد وهو اللا هدف، وهذه هي ضريبة النجاح.

- لا أعلم ياسر، أنت تعطيني الأمل الذي أكاد أن أفقده، ربما بالفعل أحتاج لعزلة إيجابية، لأحظى باستعادة نفسي التائهة.

وهذا هو الطريق الوحيد الذي من المفترض أن تكون اتخذته من قبل، البشر لا تعترف لا تقتنع غرائزهم حيوانية، لا يقتنعون بوجود بشر أسوياء مثلك.

- جعلوني خالي من الطاقة، جعلوني أشعر أني مستهلك، جعلوا الوقت ينفذ مني، وأتمنى أن أكون قادرًا على تعويضه.

ثق بنفسك ولا تفقد يقينك، أحبها لدرجة الجنون، وليس لدرجة الغرور، فكر جيدًا لتتفادى جميع أنواع الشرور، لا تسعى للانتقام، الطريق الصحيح لِمَن استقام، وليس عليك سوى أن تتقبل نفسك، احترس من الذي يُجَملون الواقع وهم يدرون قذارته، كيقينك الآن بأن الواقع قذر وأسعى لتجميله، بأهدافك وأحلامك، اختيار الطريق المريح لك هو الطريق الصائب لك، أخوة يوسف ألقوه في البئر، وكان ذلك في صالحه مع أنه كان يقتنع بعكس ذلك، لكن الله قام باطمئنانه.

- لكن يا ياسر.

أنصت لي، "تطابقت الزوايا فأصبح الجميع متشابهين في ممارسة القبح، فكان الناجي الوحيد هو الذي خالف ذلك التطابق، ليكون طوق نجاة لأحدهم.

- بالرغم من قسوتك في الحديث، فأنت تعطي لي الإيجابية في كل مرة أقابلك فيها، حين أشعر أنني على الحافة، تقوم بجذبي إليك.

أينما وجد السلام وجد الحب، فالسلام قبل الحب، السلام النفسي والدعم المعنوي، فكلاهما شريك واحد، يرتفع شأنهم معًا، يمارسون حياتهم كما يريدون، فتبًا لترهات الغيرة، التي تجعل العلاقة غير جديرة بالثقة، فالحب أخلاق ولا يوجد بين ثنايا أرواحهم مجالًا للشك، السلام ينتج عنه الحب والصداقة، ما فائدة الحب إذ لم يتواجد السلام؟ وما فائدة السلام إذ لم يتواجد الحب؟

السلام والحب معًا أساس بناء أي علاقة، الشعور بالاطمئنان، عدم الخوف من ابتعاد أي طرف من الأطراف، فكلاهما يطير معًا نحو النضج المبني على الثقة، هكذا نحن يا صديقي.

- أدامك الله لي يا ياسر، ولتكن عونًا لي دائمًا.

****

"ريمة"

تلك الفتاة ذات الشعر الأسود ولا أعلم طول شعرها، وقد علمتُ بشأن لونه، لأنها تخرج منه بعضًا من الخصلات خارج حجابها، وبشرتها ناصعة البياض مع قليل من النمش على خديها فيعطي لها جمالًا لا مثيل له، فيض مشاعرها حين حدثتها بعض من الشهور، علمتُ كم هي هشة، بسبب تجارب سيئة للغاية، ولكنها تعلمت من تلك التجارب في إيجاد حلول، ويكفي لي أن أنظر لابتسامتها حين تقوم بتصوير نفسها، ذلك الأمر يجعل مني ذائب في تفاصيلها الدقيقة، وأتمنى أن أرقص معها رقصةً واحدة حتى وإن كانت الأخيرة، لكنها كالقدر لها رأي آخر، كم أنا أفكر في خطبتها ليس لجمالها فحسب بل لأنها تمتلك كاريزما لا تمتلكها فتيات أخريات، تمتلك الثقافة والجمال وأنا لا أصدق أن يجتمعا كلاهما في فتاة واسمها ريمة، حيث أنها تعيش في دولة الجزائر لا أتذكر بالضبط في أي ولاية! ولكنني أريد أن أقطع المسافة من مصر

إلى ولايتها، لكي أطلب يداها من أهلها، لا أعلم إن كانوا يعلمون بشأني أم لا، وهي سعيدة لكونها تعرف أني مصري الجنسية، فهي تقول لي إنها تحب مصر كثيرًا وتتمنى زيارتها وخاصة الأهرامات، فهي قد تكون تدرس أمجادنا، وتسعى لتحقيق رغباتها، ولكن هي ترى نفسها أنها غير جديرة الثقة بنفسها، ولكنها تفعل ما بوسعها، ولأن دولة الجزائر كما قالت هي لي أنهم لا يسعون إلى الزواج بالفتاة التي لم تُكمِل البكالوريا، فالتعليم في دولتهم يعتمد على الثقافة وليس على تَعلُم الكتابة والقراءة فحسب، ينتجون الثقافة الحقيقة الغير مشوشة، وعلى حسب حديثها معي عبر وسائل التواصل الاجتماعي فيسبوك وواتساب بالأخص، أنها تحب سماع العندليب وأم كلثوم مع كوب القهوة، وتستمع إلى فيروز، وبالأخص تلك الأغنية:

"أنا لحبيبي وحبيبي إلي

يا عصفورة بيضا لا بقى تسألي

لا يعتب حدا لا يزعل حدا

أنا لحبيبي وحبيبي إلي

حبيبي ندهلي قالي الشتي راح

رجعت اليمامة زهر التفاح".

- هل يفلح الصداقة أو الحب عن طريق مواقع التواصل الاجتماعي؟ هل نحمل مشاعر حقيقية سويًا؟ أنا لا أعلم بشأن مشاعرها وأظن هي كذلك، لا تعلم بشأن مشاعري أيضًا! حيث لا يوجد وضع من الأوضاع

يدوم، والسيء الذي تريد تغييره قد يكون أصلح منك، ولا هدايته تكون شيء في حسبان المضمون، ربما يحمل مضمون آخر غير مضمونك، فالحب نزيه ظاهريًا فقط، وقد يحمل الخبث في باطنه، ولكن المعضلة هي في عدم التأكد من مشاعرنا خلف شاشات الهواتف، لا أعلم والذي أعلمه جيدًا هو أني مشتت للغاية حتى في مشاعري، ويعتريني غموض العثور عليها، تبًا، أتذكر جيدًا حين كانت تدرس لأنها تبادلني الصور بالكتب الدراسية ومدونتها، حيث وجدت اسمي داخل المدونة التي تمتلكها، وقالت لي إنها كتبته دون وعي وإرادة، حقًا لا أعلم لماذا كل هذا؟ أصبحنا نتبادل المحادثة قليلًا مع بعضنا البعض، لأنها قالت أنت تشبهني في كل شيء، وتفهمني لدرجة عالية جدًا وأني أمتلك وعي، وتجد الأمل بين ثنايا أحرفي، وتشجيعها من خلالها، تعلم أني أخاف من تلك العلاقات وبالأخص أننا من دول مختلفة، وهي أيضًا تخاف منه ولكن لسببٍ واحدٍ هو أن المجتمع اجتمع على أن الحب حرام، وهو أكثر من يفعل كل ما يروق له في الخفاء، حيث يظل أعمى أمام الكوارث التي يفعلها البشر، ويكون ثملًا عنها، بينما إن وجد اثنان يقبلون بعضهم في الطريق، أو يأخذون حضن أمان ومودة، يكون مثل الصقر ذا العيون الثاقبة التي لا تغفل عن الانقضاض على الفريسة، ولكن الله أعطنا ووهبنا تلك المشاعر ليس لغرض إهمالها بالطبع لا، بل جعلها داخلنا لنستفيد بما تحمله من متعة مطلقة، الحب الأفلاطوني هو الأنقى، والمعضلة الكبرى أنهم ينعتون المحبين بالعهر ويقذفونهم بأقذر السباب، نحن في حلبة صراع ونعاني من الازدواجية في فهم تلك

المعايير التي يتبعها المجتمع، كيف يجتمع المجتمع على نبذ الجمال والموسيقى ونبذ أسباب وعوامل صدورها؟ الله لم يخلق الشر البشر فعلوا وسيظلون يفعلون ذلك، من أجل الحصول على مكانتهم، ليظهرون أمام العامة أنهم محافظون ولا يدرون أنهم ساديون لا يفقهون شيء في الحب، فأصبح المحبون مرضى أكثر من مرضهم هم، وأمام الكوارث صُم وبكُم، سأذهب إلى المقهى وأضع سماعة الأذن لاستمتع بالأغاني الجزائرية التي أرسلتها لي، لا أفهم بعض الكلمات الخاصة بالدارجة الجزائرية ولكنني أفهم الكلمات الفصحى، ها قد وصلت أنا إلى المقهى انتظر معجزة ما ولا أدري ما هي؟ ربما أجد صديقًا رفيقًا يؤنس وحدتي ويجلس معي لأناقشه في أمور الحب، مرحبًا هاني جميل أني وجدتك هنا، هل تنتظر أحد؟

- أهلًا يا حسام: لا أنتظر أحد لتجلس معي قبل أن أذهب إلى العمل.

كنت أود أن أسألك، عن الندوب التي يحملها المحبون وقصصهم التي انتهت بالفشل! لكن لا أعلم يا هاني أحببتها ولم أرى سوى بعض من صورها لكن لم أراها على أرض الواقع، فالمسافات التي بيننا جديرة أن لا نلتقي سوى على الإنترنت لا أكثر.

- أنصت يا حسام بالنسبة للندوب، هناك دائمًا مَن لا يكف عن تقديم الخذلان بصدرٍ رَحِب على طاولة أمراضهم الذي يتسرب بين شقوق أجسادهم، حيث الشعور بالتبلل وغرق القلب والعقل معًا، وأصبحت الأوردة الدموية مسدودة مغلقة، في حلقة فارغة فالقلب غارق في نوبته،

والراهب لم يترك صومعته، والعقل يبكي مثل السماء غارق في نوبة الهلع، حتمًا لن يشفى غليل الشك، إذا قتله اليقين، فكل ظالم سيسقى بما ظلم، لأنه في ضلال مبين، بالنسبة أنك تحبها بدون رؤيتها سوى على الإنترنت فقط، حالك كحزين مكتئب، هَطَلَ دمعه وهو نائم على السرير، غافِلًا عنه حتى سقط على أذنيه، حتى فقد السمع، وطال بُكائه حتى فقد البصر، وكان الحُزن حليفه دائمًا حتى انتصر.

تعني أنك ضد تلك العلاقات التي على الإنترنت!

- بالطبع لا يا حسام فهناك علاقات من ذلك النوع تنجح، ولكن علينا التفكير المسافة كبيرة بينكم على حسب قولك، وعلى حد فهمي أنها من دولة مختلفة فأنت تعلم أن السفر صعب.

في الحقيقة يا هاني، الأمر والمعضلة الكبرى بالنسبة لي أنني لا أعلم جيدًا مشاعري تجاهها وكل ما أعلمه أنها لطيفة إلى أبعد الحدود، ولا أعلم أيضًا بأمر مشاعرها.

- كل ما في الأمر أننا أصبحنا غرباء، مشوهون نُجَرَد من إنسانيتنا، نضع سماعات الأذن ولا نبالي وننظر إلى هواتفنا أثناء سيرنا في الطريق، ثم نصطدم بالغريب يسب كرد فعل للصدمة، فلماذا أصبحنا هكذا مبرمجين على نهج واحد؟ الجميع يَدَعون أنهم صالحون لا يخطئون، أين ذهب المخربون؟ المثالية شيء مقزز للغاية في إفراطها، تخلينا عن طبيعتنا في سبيل إدمان المثالية، التي قد تدل خلف مدمنها إلى شخصية

نرجسية بحتة، تسعى لترك أثرها السلبي الذي لا يتحمله أحد وقد تؤدي به إلى التهلكة.

أظن أنني أحبها مِن طرف واحد، ولا أدري ما نوع الحب الذي أحمله لها، ربما أعاني من وهم الحب، لأني لم أجده وأشعر أن يكون هناك أمل.

- تذكر كلامي، سأذهب قد حان موعد العمل.

مع السلامة يا صديقي لكنني ما زلت أحمل لها الحب.

****

"انتحـار"

استيقظ في تمام الساعة العاشرة صباحًا، ويعاني من وعكة نفسية واجتماعية، وكل مَن ينظر إليه يرى وجهه بشوش مبتسمًا ابتسامة بلهاء تدل على اللامبالاة بطريقة غريبة، يظهر أمام الجميع إنه صامد أيضًا يغمره الثبات الانفعالي، كان وحيدًا تركه جميع أصدقائه ولا أحد يشعر بما يعانيه من الداخل، ينظرون إليه من الخارج، ويعتريهم الاندهاش على وجوههم، فهو يجلس دائمًا دون رفيق ويفعل كل شيء دون رقيب، ويدخن النرجيلة أحيانًا بالمنزل، ولكن أغلب الأوقات يذهب إلى المقهى فهو يشعر باللذة حين يجلس ويضع سماعة الأذن ويراقب الدخان المتصاعد من فمه في استمتاع، والملجأ الوحيد له هو مثلث جدران غرفته، لأنه الأجدر بالاحتفاظ على سره، بعد أن دهس الجميع وجهه بالبوح بجميع أسراره، ويمتد إلى حد كبير نحو صورة بقائه حيًا، ويواجه نفسه بأسئلة عجز عن إجابتها، لماذا أصمد هكذا وابتسم وأنا أرى أحلامي وأهدافي محطمة أمامي؟

وكل مَن يسألني، هل أنت بخير؟

أجيب بنعم لا بأس، ولا أحد يدري ولا يعلمون أنني أتحطم تمكن مني الصمت في حرم الاكتئاب، أصبحت أفكر في ذاتي ومصاب بمرض التفكير الإيجابي والسلبي، ولكن الأمور السلبية هي التي تمكنت من احتلال عقلي وقلبي وروحي وعمري، الذي ضاع في الجلوس بالمرحاض كثيرًا وأداة حادة بيدي أقوم كل ليلة مثل الإنسان الآلي، جهاز الحاسوب الذي أعطيه الأوامر، فعقلي هو الإنسان وجسدي هو الحاسوب يستقبل كل أمر فقط بدون تفكير منطقي، سيطر اللا منطق من جميع أنحاء جسدي، ويصدرون الأهل الصرخات وينطقون عن الهوى، عليك بالخروج الآن مِن المرحاض، لماذا تمكث داخل أوقات كثيرة؟ لا شيء قط سوى السب واللعن لي، يالا الهول، كم أريد عناقهم بدلًا من انتقادهم! كنت أريد سؤالهم عني، ولا أتلقى منهم استخفاف بعقلي، لأنه قدم استقالته من الأمور الإيجابية، بعد أن كنت أتمنى رفع رأسهم عاليًا ليفتخرون بي، حطموني أرهقوني، وأرهقني نسيانهم بل أصبحت لا أكترث لهم حتى أصدقائي الأعزاء لأن الجميع هجرني، لذلك لم أعرهم اهتمامًا ولم أسأل عنهم، لأن الهجر من الأشياء التي تحدث في سبيل إرضاء نفوسهم الدنيئة ووعودهم الكاذبة، التي نتجت عنها إدانة الصدق، ولكن هناك صديق لي منذ الطفولة وصديق دراستي نفعل الأشياء سويًا، نمرح ونذهب للتنزه في أوقات الفراغ، هو العائلة الحاكمة لي، هو قوتي عندما أكون ضعيف، هو الأمل عندما أفقده، أين أنت الآن؟ لماذا لا تتذكرني؟ سأتصل به على أي حال، هو الذي يتصل

بي، ما أجمل تلك الصدفة؟! مرحبًا بك يا حسام صديقي العزيز، كنت أفكر بك للتو، أنا سعيد بذلك.

- مرحبًا، كيف حالك ممدوح؟

لست بخير، أريد مقابلتك فورًا.

- هيا الآن.

- تقابل كل منهما وتعانقا، عناقٌ يدل على الاشتياق.

- ماذا بك يا ممدوح؟

فكر ابتدائي، وعقلي سماء يثور داخله الرعد ويتسبب لي بصداع نصفي يكاد أن يشق رأسي نصفين.

- قولت لك سابقًا أن تحاول أن تتوقف عن التفكير.

أنا ضد نفسي ونفسي تؤذيني ولم أسلم، لقد قمت بالأمس بقطع شرياني، وذهبت إلى المستشفى وفعلت اللازم.

- لن أقول لك بأن جسدك عليك حق، ولن أبوح بكلمة أنه أمانة من الله لك، ولن أتحدث عن الحلال والحرام، لعل أنت أقرب إلى الله، هذا بداية اكتئاب حاد، لست حيًا ولست ميتًا، بل تمكث في المنتصف المميت، وعليك الخروج من تلك الدائرة، التي يعتريها الشروخ من نصفها.

أنا لا أخشى الموت، بالفعل أصبحت متوفي، أعيش بكابوس حقيقي وليس مجرد حلم أثناء النوم.

- أنت مَن تضع نفسك في حلقة الوهم.

ليس وهم، تشويش داخل رأسي، ملعون صاخب ولن أجد نفسي التائهة، قتلوا الطفل الذي بداخلي.

- إن الله لا يخذل قلب لجأ إليه.

فات الأوان، أصبحت مُهان، ولم أقوَ على فعل شيء، أصابني الخمول البدني والنفسي، أعالج مشاكلهم واحد تلو الآخر وعجز الجميع عن تقديم المساعدة والمعلومات لي، لأتمكن من حل مشاكلي.

- وصفقوا لك حين انتهت مصالحهم، وتدخن بشراهة وتبذل مجهود لانتشال فكرة الانتحار من رأسك، وحين تقوم بتنفيذ الفكرة تتراجع وتفوز على الوعكة النفسية، وترفع لنفسك الراية البيضاء التي تدل على استسلامك.

لم أشعر إطلاقًا بذلك مِن قبل، قالت أنها ستكرهني وفعلت وهي الآن بمثابة صديقة زائفة لي لأنها تتظاهر بذلك.

- تفاءل!

لم يجدي نفعًا، منهك تمامًا.

- عليك الذهاب للطبيب.

ذهبت بالفعل، وقال لي بأن هشاشتي النفسية مضطربة جدًا، وسيعجز الإطباء النفسيون عن تشخيصك.

- نكرانك لنفسك وعدم البوح بمشاعرك يؤدي إلى خسارة الجميع، وأنت مشترك في نفس الفعل، ودائم في تقديم الغفران لكل إنسان أخطأ بك.

كأنني أخذت نظرة مستقبلية لما سيحدث لي، عجزت عن الاندماج وسقطت أرضًا، إزداد الأمر بشاعة، لم تقوَ قدماي تحملاني كما كانت بالسابق، كنت احتضر، لا أمل وفي ذات يوم ذهبت لشراء بذلة حمراء اللون، كتلك التي يساق بها المذنبون إلى الإعدام، وأغلقت باب غرفتي جيدًا، وقمت بتمثيل دور القاضي بجدارة، وكأنني داخل محكمة ما وأصدرت الحكم علي نفسي بالإعدام شنقًا، وحينها كنت أعلق حبلًا شديدًا وسميكًا يشبه حبال المشنقة، وتأكدت بأنه متماسك بسقف الغرفة جيدًا، صعدت على المقعد ووضعت ربطة الحبل حول عنقي وقمت بإزالة المقعد من تحت قدمي، أصابتني التشنجات الجسدية ويداي الاثنان تقبض على عنقي، كنت أناجي الرب حينها على أمل أن ينصت لي، وأن لا أنهي حياتي، أرجوه داخلي ولم أكن أقوى على الحديث، وأمامي مرآة رأيت عينين جاحظتين وعروق الجبين بارزة ووجهي بالكامل تملك منه اللون الأزرق، لك أن تتخيل بشاعة المنظر الذي كنت عليه، ثم انقطع الحبل ولم يشعر الأهل قط، يا حسام كنت أبحث عن الحب في أهل الدار، ذهبوا جميعًا وبقيت أنت.

- أنا هنا إلى الأبد، ولا أدري، ماذا أقول؟! انتابتني القشعريرة من تخيل ذلك المشهد وأصاب قلبي الألم.

صديقي العزيز حسام، أنت تعلم جيدًا أن شخصيتي حساسة للغاية، الانتحار كان قرارًا، وأصبح حل الآن.

- أتدري يا ممدوح، كلانا منتحرون بالفعل، أنت مجتهد في جميع الأشياء التي تقوم بها لكن لم تؤمن بها، أنت ناجح بالفعل لكن العوامل الخارجية المحيطة بنا هي التي تؤثر على نفسيتنا وتتحكم في قراراتنا وتجعلها متغيرة بشكل دائم، نحن نخاف من الانتحار جسديًا لكننا منتحرون نفسيًا، أنا لا أستطع إلقاء اللوم عليك لأننا ضحايا، كثرة الانتحار والتفكير به له سبب.

لكن، مَن المتسبب في ذلك يا حسام؟!

- المجتمع هو المذنب ليس ككل، بل الذين يقدمون لنا الإحباط والخزي، هم عرايا الفكر، لذلك مرتاحون، ومَن يسعى للفهم والتطوير العقلي يتعرضون إلى الاكتئاب بشكل مبالغ فيه.

الآن أنا أصبحت لا أعرف كلمة مستحيل الذي كنت أهاب منها، واستخرجت من حروفها كلمة " تحمُل " وسخرتها لذاتي بالرغم من معاناتي ما زلت أستيقظ على أمل الذي كنت مقتنع أنه لا وجود له، وقمت باستئصال الإحباط من عقلي، انتشلتها كما ينتشل الزيت نفسه حين تسكبه بعمق الماء، غير قابل للمزج.

- لكن، ماذا عن الاكتئاب؟

لم يصيبني بعد، أنا مَن يصيبه الآن.

"تبًا"

ألقيني في بئر قلبك، لأسمع نبضك، وأشعر أن تلك الكلمات لم تذهب إليكِ عبثًا، وسوف ألقيكِ في بحورها، وستسمع الشياطين أنين حضورها، وستلبسني جنية، أكتُب لها وأنا أضحك، وأتنهد تنهيدة تمهيدية لأجل الموت الذي لن يسمع أنينه سوى نفسًا مليئة بتعاويذ وطلاسم المجد الأسمى. الوضع مأساوي أصبح أسلوب حياة الإنسان، كجزر المالديف يغمُرها الهدوء وفي باطن بحورها قروش، تترصد لمحاولة فهم ووعي إنسان يحاول اصطيادها ولم يفلح ويصبح فريسة سهلة، لخطابات تسعى لهدم القيم والمبادئ الأساسية للإنسانية.

تبًا،

لكل حرف تخلى عن المعنى

اللا شيء، الذي أصبح روتين أعمى.

تبًا للسماء التي تمطر لعنات

لكل شخص قدم لنا وخزات.

تبًا،

للقلم الذي جعل الأوراق تبتسم.

تبًا لكل مَن تمكن مِن زيف يرتسم،

وتبًا لي لأني أحتاج شعور زائف للأمان.

الدنيا كذبة وربما الموت حاسم لكذبها.

وتبًا لي مجددًا لأني لم أتخلى عن الصدمات

اعتقدت أنها تجعلني أقوى وأنا هش،

فالغراب لن يكف عن نبش القبور.

وتبًا لأني حملت الحب وجعلت منه سفينة للعبور.

تبًا ولن أكُف عن تلك الكلمة لأنها تحمل صفات المعنى.

الحقيقة واضحة وأحببنا الكذب المبهم الغامض.

وتبًا لكل قلب مازال موجودًا ونابض.

وتبًا لمزاجيتي التي لم يفهمها كل ناقص.

وتبًا لفصامي الذي نتج عن شخصية مفعمة بالألآم،

اللعنة حاولت تغيير حاضرك المُعاش،

في سبيل مستقبل لن يُعاش.

تبًا للدموع التي ذرفتها.

وتبًا لجرح انتهى.

ومرحى لي فعقلي التهى.

سأذهب إلى صديقي حازم البائس، ونقول جملة فان جوخ الشهيرة، "لن ينتهي البؤس أبدًا". وتغمُر ملامحنا الابتسامات الكاذبة، التي ربما يحبها كل مَن ينظر إليها، ها قد وصلت للتو، أهلًا حازم البائس، وكيف حال البؤس الذي لن ينتهي؟

- هاهاها، بخير والبؤس كذلك يا بسيوني، ما أخبارك أنت؟ وما هو جديدك؟

لا جديد ولست بخير كالعادة، لا بأس سوف يمُر الخذلان، لن تشعُر بألمه، مثل الميت الذي لا يشعُر بالصاعقة الكهربائية على الصدر، لتعيد إحيائه مرة أخرى، ولكن دون جدوى، ضربات متتالية، وطبيب يتصبب عرقه، ولكن الجميع حزين على فراقه، عدا شخصٍ واحدٍ، جالس دون ردة فعل مُبتسمًا دليلًا على فرحه، ذلك الشخص يقدم الخذلان بصدرٍ رَحِب.

- تبًا لبؤسك.

هاهاها، كنت أقولها للتو قبل أن أتِ إليك، ما جديدك أنت يا حازم؟

- لو الكلمات انعكاس لروحك فيكون إحساسك ردًا على كلماتي، حتمًا سأخرج منها بالرغم من الكدمات والخدوش النفسية سأخرج،

سوف يركع أمامي كل ما لذ وطاب ولن أكترث له كأنه سراب، لم تنجو ولم ينجو أحد.

لماذا نحن هنا؟

- عقاب ما، احترام الغير عقيدة منفية الوجود.

والمحترم يتلقى العقاب؟

- أصبح نادرًا في ذلك الزمن، الذي بالفعل قد لقى حتفه، في كبرياء صمته.

تبًا، أنت ما زلت أحمق ولا تعلم لغة الشارع، فهي التي سوف تجعلك بارع.

- بسيوني أنت تتحدث وكأنك شخصيتي الفصامية الأخرى، سأرد عليك، لغة الشارع، أضحكتني يا فُصامي، أي لغة تتحدث عنها؟ لغة الصراع النفسي ما بيني وبينك، الذي أنت من أجله متواجد الآن واحدثك وتحدثني، كأننا شخصين.

سيتغير كل شيء، سيكون معك الصولجان.

- قد انتهى عصره.

سنعيده سويًا.

- ماذا تريد مني الآن؟

أنت تعلم أن الدنيا أمرها فان.

- نعم، وبعد.

سأعلمك إلقاء النرد، سوف تتساوى جميع أرقامك وتحرك كل ما يروق لك.

- أرحل عني، وأتركني منعزل مع فني.

فنك تقصد دفنك، وستتحدث عنك الجرائد والمجلات والصحف والبرامج التلفزيونية، وسوف يقولون لقى حتفه لعدم تأقلمه، مات وليد، اكتئابه بغرفته وقهوته التي لم يأخذ منها رشفة واحدة.

- على الأقل لن يقولون عني، مات بفعل ممارسة الشر، يكفي أني سأموت بابتسامة، وقد نلت شرف التغيير.

أنت تعصيني، سوف تتلقى ضربات بأقبح مصير.

- تبًا لك، أنت فصامي اللعين علمتُ بأمرك وخباياك، لأنك دائمًا تسبب لي صداع نصفي، الذي يكاد أن يحطم رأسي.

****

"الصـمت"

صُراخ لا يغادر رأسي يريد الخروج وهو يسعى إلى اغتيالي، ومَن حولي لا يبالي، عناق قسوة الشتاء يهدئ روعه المطر، كالجسد الذي تملك منه قسوة الحزن يهدئ روعه الدموع، أجلس في شرفتي وأنظر إلى السماء وعيناي يغمُرها البكاء، ورعشة الجسد لن تكف من شدة التوتر، أنه جنون الليل البائس الحزين الكئيب، ألم يحين الوقت للهرب من كل حزن دفين بالقلب والروح والجسد بأكمله، هاتفي يدق تبًا، مَن هذا المتصل؟ ألو، ألو مرحبًا كريستينا.

- ما الذي حدث لصوتك يبدو أنه حزين؟

لا بأس.

- عليك بالنزول الآن يا مينا، فنحن جيران فسيكون الأمر سهلًا ولا تكُن كهلًا كسولًا.

حسنًا أنا جاهز على الفور سأقوم فقط لأرتدي الحذاء، أجهزي لنذهب إلى مكانٍ ما للجلوس فيه.

- هيا بنا، أنا أيضًا مثلك.

*تقابل كل منهما، أسفل المنزل.

- مينا تبدو عيناك باكية.

لا تكترثي لي، هيا لنذهب إلى الحانة ربما ليتغير مزاجي السيء.

- حسنًا ولنتحدث هناك.

* ذهب كلاهما إلى الحانة، وجلس كلاهما على الطاولة.

- قل لي يا مينا، ماذا بك؟ وماذا تريد؟

الطريق لم يكتمل بعد، هناك حلقة مفقودة، لغز لم يتم حله، الابتسامة دليل على الخيبة، إنها تُجَمِل الهيئة لا أكثر، اتركوا السماء تُمَطِر، لكن، ما مكنون المطر؟ هل ستمطر لعنات أم أمل أم إخلاص ووفاء خيانة أم حب؟ لم أجد وفي مثل الكلب حيوان لكنه لم يتخلى عن مبادئه مثل معظم البشر، لن أمضي على الشر، الخمر له مذاق خاص لأنه يفضح خبايا وأسرار النفس البشرية، راقني الأمر كثيرًا حين وجدته طامعًا في احتساء المزيد فجعلته يترنح، وكشف عن سره لي، وعن خباياه التي يحملها ضدي، ابتسمت له قائلًا: يجب أن تعتذر لي، حتمًا عليك الاعتذار، لأن الخمر قد أعلن عليك الانتصار، لا تعبث معي مجددًا، لأني أعلم نقاط ضعفك والضربة التي كنت تود أن تضربني بها، استخدمتها ضربات متتالية في كشف مرضك اللعين، فالثعبان مات ولم

أجد لقاح لك ولن أسعى لذلك، لأن مرضك عجز عن تشخيصه الأطباء، فالحريق الذي بداخلك عجز عنه رجال الإطفاء، نصيحة مني لا تحمل صفات الأفاعي داخلك، لأني أجيد جيدًا، كيف أجعلها ترقص؟ على أنغام خاصة قمت بتأليفها لأكون أليفها.

- ماذا تريد أن تقوله مينا؟

* ثم قاطع حديثهما النادل، ليأخذ طلباتهم، ماذا تودان أن تشربا؟

قالت كريستينا: أريد كوكتيل الفودكا الممزوج بعصير البرتقال.

وأنت يا فندم!

قال مينا: مثلها تمامًا.

- لتكمل حديثك يا مينا، ماذا تريد؟

أريد الهذيان لا أكثر، دعوا السحُب السوداء الممزوجة بالاحمرار تمطر، اصرخي يا سماء اصرخي وأخرجي كل ما لا يروق لكِ، غضبك ومقتك فلتتمردي على صمتك، وبوحي بالوحي الحي، فالحياة قصيرة لا داعي للكتمان، فهناك مَن يشعر بالغثيان، لكنني أشعر بالعصيان، سأضرب سأنفجر كما البراكين، سوف أصيب الجميع دون رحمة وشفقة.

- مهلًا، مهلًا، مهلًا، ما الذي تقوله؟ أصمُت رجاءً، أنت لا تفكر بالشكل الصحيح أنت تحت تأثير الكأس.

أصمُتِ أنتِ، أنا أترنح تحت تأثير اليأس.

- هناك أمل.

أصمُتِ مجددًا بدلًا مِن أن أحطم رأسك بالكأس.

- ماذا تريد أن تفعل؟

أريد الانتشاء والهذيان، السُكر فحسب، لا أدري، لماذا أحب تفاصيلك اللعينة؟ دعينا نذهب من تلك الحانة.

- سيتلاشى كل شيء لا يروقك، وسيدفق الدماء مجددًا بعروقك.

كفى عبثًا.

- كفاك عناد.

احترسِ قبل أن أضغط على الزناد.

- تريد قتلي!

بل أريد تحطيم عقلي.

- يؤذيك!

يحطمني داخليًا، أشعر بالخوف والتهور معًا.

- أنا هنا معك.

لا أحب الترهات.

- ستحظى بوقت سعيد فلا بأس به، لماذا تخرج المسدس؟

لأنك لا تعلمي بأمر إصابتي باليأس.

- تبًا لك، ستظل سجين بين خيالات ذلك الكأس.

"الوحـــدة ليست صحـراء"

نحن كبشر كائنات اجتماعية بالفطرة، فكيف نتخلى عن الفطرة بإرادتنا؟ لماذا أصبحنا لا نشعر بأنفسنا؟ لماذا نهرب من ذاتنا؟ لماذا الآخرون يعتقدون أننا أشد قسوة نحن الانطوائيون؟ لماذا لم يقوموا بتجربة التقرب مِنا؟

"الأهل والأبناء والمجتمع"

الثلاث مُسميات ليس لها أي قيمة نهائي، بالنسبة للأهل.

- هل قُمتُم بالفعل بتوفير الأمان والسلامة النفسية لأبنائكم؟ هل جعلتم منهم ناجحين لتفتخروا بهم بما إنكم تبحثون عن المظاهر أمام المجتمع؟

- الإجابة: بالطبع لا، ولم توفروا لهم الأمان والاستقرار ولم تؤهلوا أبنائكم بأن يكونوا ناجحين، ولم تحاولوا أبدًا، ولأننا مجتمع شرقي

يسعى لفعل كل شيء في الخفاء إلا إنه في الوقت ذاته، يتم ادعاءه الفضيلة والشرف أمام الجميع، في صورة تعنيف وضرب وظلم وإحباط وكل ما تشتهي النفس البشرية السادية، والأهل مضطرون ومتعمدون بإظهار فضيلتهم بضرب أبنائهم بالشوارع أمام الجميع، وكأن الأبناء لا تشعر بالقلق والخوف الناتج من ذلك التعنيف، وهذا يؤثر على نفسية الطفل عندما يكبر، يكون مهزوز متوتر ويتجنب البشر نهائيًا، ولا يحب أن يتعامل مع بني آدم، ولأن الحب في مجتمعنا الشرقي، يجب أن يكون في الخفاء، الابن أو الابنة وخاصة الابنة عندما تحب وعندما يكتشفوا الأهل بأمر حبها، يمارسون عليها التعنيف من أجل عدم جلب العار لهم، هل البنت التي تحب تجلب العار؟ ولماذا الولد لم يجلب العار عندما يحب؟ الحب أصبح حرام اجتماعيًا وهذا من وجهة نظر المجتمع المحافظ، وأصبح في مخيلة الأهل أن التعنيف أمر لائق وطبيعي وهذا نتج عن عادات وتقاليد خاطئة تسعى لهدم القيم الإنسانية، وبما أن الحب حرام، لماذا خلق الله لنا تلك المشاعر؟ الممنوع دائمًا مرغوب، والمرغوب دائمًا ممنوع، الأهل والمجتمع المتعمد في إظهار المثالية بثوب المكر هذا سبب كفيل بأن الأبناء يصبح حالهم مشوه نفسيًا، من المفترض أن تكونوا بمثابة معاهدة سلام، بين جسد تائه، عقل مشتت وقلب محتل، ولكن لم يحدث فأصبحت المشاعر التي خلقها الله أكبر مختل، حيث سقطت المبادئ، عندما قاموا بتقديم النصيحة على عدم فعل تلك الخطيئة وهم يفعلونها.

* يتحطم بفعل تلك التساؤلات التي تحوم حول عقله وتكاد أن تقتله وهو في طريقه، اصطدم بصديقه سمير.

لماذا أنت سارح هكذا يا صديق؟ هل أنت بخير؟

- سمير صديقي العزيز، بخير ولكن هناك بعض التفاصيل الغارقة بعقلي.

ما هي؟

- لو كان الملاك منافقًا، أحبذ أن أكون شيطانًا لا يصمت أمام الحق.

ما الذي حدث يا صديق؟ أنا لا أفهم شيء!

- سأحكي لك قصة حدث بالفعل حيث سقوط الإنسانية، وللأسف يا صديقي، قد تحطم كل ما يروق لي، وأصبح الأمر معتادٌ، نفس الشعور، دعني فضلًا أشعل أعواد البخور، لتجربة تحضير الجن السفلي، مع بعض من الطقوس والرسومات، وممارسة التعاويذ.

ما الذي تتفوه به؟ حتمًا لن أدعك تفعل ذلك.

- سأفعل هذا بكل جدية، وسأتحمل عواقب فعلتِ هذه، لأني أنا الحر في جميع تصرفاتي ولا أحد رقيب عليّ.

كفى هراء!

- أصمت، سوف أخوض تلك التجربة، لعل يحدث بعد ذلك أمرًا.

لا تيأس من رحمة الله وكن صبورًا.

- البشر لا يصبرون.

ولكن ما تود فعله، بمثابة أفعال المجرمون.

- رأيت تلك الطفلة التي أطعمُوها الفلفل الحار لكي تحصل على المال، وهم يصورنها بغرض أنهم يتظاهرون أمام الجميع بأنهم يمتلكون الجميع بأموالهم، يقولون كل شيءٍ "كن فيكون"، وبالفعل يكون بأموالهم.

ما علاقة تحضير الجن بهذه الأفعال؟

- أريد تسخيره وبشده وأستخدمه في فعل الخير، ما دام الجن والمخلوقات الخفية تركت الشرور للبشر، سأقوم بتبديل وظيفتهم لا أكثر.

فهمت الآن.

- الخنزير أطهر ومياه المرحاض أنقى.

نعم، وأسفاه.

- قال تشارلز بوكوفسكي: "يتألم البشر، ينامون متألمين، يستيقظون متألمين حتى المباني تتألم حتى الجسور، والزهور تتألم. لا تسأل لِمَ هناك سكارى ومدمنون على المخدرات وانتحارات؟!

الموسيقى حزينة، والحب حزين، وهذا السيناريو حزين، وهذا المكان الآن حيث أطبع هذه القصيدة، أو مكانك أنت حيث تقرأ هذه القصيدة".

هذا الرجل يا سمير يتعمق داخل النفس البشرية ويفهمها جيدًا.

- هذا صحيح، وهناك قصة أخرى مليئة بالأسى والحزن حيث أن هناك امرأة ألقت بأطفالها بالنهر، أي خلاف هذا بين الأزواج يعطي الحق في إلقاء الأطفال ويلقوا حتفهم غارقون! ولو كان السبب هو الفقر، هذا أيضًا لا يعطي الحق في حدوث تلك الجريمة، فالأم لم تصون لم تحافظ ليست حمل المسئولية، ومن جهة أخرى يوجد قطة تأكل أطفالها لأنها في مخيلتها أنها تقوم بحماية أبنائها من العوامل الخارجية، معتقدة أنها تحافظ عليهم من الشر الذي يمارسه بعض البشر عليهم من تعذيب وتعنيف يؤدي إلى القتل، القطة تفعل هذا لأنها تجد السرور والفرح في تلك النفس البشرية السادية، التي تحمل الكثير من الشر، القطة هي بالفعل تشعر بالحزن المبرح في أكل أطفالها، لكن عقلها يصور لها أنهم في أمان تام داخل بطنها حيث تقوم برجوعهم مرة ثانية داخلها، الحيوانات لم تسلم من أفعال البشر، الحيوانات هو مَن يتحملون المسؤولية وليس البشر.

كلاهما يحمل السيف لقطع الرقاب، ولا يدرون أنه سيأتي اليوم ليتمرد السيف عليهم، ويقطعهم إلى أشلاء، وليس الرقاب فحسب، حينها سيصبح السيف يعطي الخير بسخاء، في طرفه المدبب ستجد حقوق المستضعفين.

- أتمنى ذلك، قبل أن يجن جنونَنا.

أتدري بأن الرصاصة تمردت، وخرجت من فوهة المسدس من تلقاء نفسها، وأصابت ذلك الخبيث الذي يحمله، لأنه تدثر برداء العفوية

وهو مفتعل، كان يفعل مراسيم تشييع هيكل المسدس، فصاح المسدس كفى يا بشري كفى، وتوجهت الرصاصة نحوه، وقامت بإصابة قلبه ولقى حتفه، ونظر الجميع له حتى فقدوا عقولهم، وقاموا بالصراخ بهستيريا، ثم ظهر رجل بعباءة ناصعة البياض وهيئته تدل على أنه طبيب، قال للجميع أنه مريض نفسي يؤذي ما حوله لأن عقله يعكس مسارات تفكيره، مَن يعطي له الحب يظن أنه يطعنه، ومَن يطعنه يظن أنه يحبه، حتى وجد الحب بداخله وأطلق الرصاصة على نفسه دون وعي.

- النفس البشرية يغمُرها الغرابة.

لذلك الوحدة ليست صحراء.

****

"غرائز البشر الحيوانية"

- هل أجدادنا حين وضعوا قوانين وعادات وتقاليد لتتحرك على نمط حياة معين نلتزم به الآن أم ماذا يقصدون؟ لماذا يريدون تحريكنا كعرائس ماريونت؟ وما الغرض من هذا كله؟

أسئلة كثيرة من ذاك القبيل تحوم حول رأسه ولا يعلم الإجابة، ويهاب أن يسأل أحد لأنه يهاب رد فعلهم، ويتفادى ردودهم بالصمت، حتى أصبح مبعثر ويتمنى أن يتلقى إجابات تهدئ روعه، فإن أجمل الأشياء بالنسبة له في وقته الحالي هو الهدوء والصمت، ويتأذى داخليًا بسبب كثرة الاستفهامات، ويعتقد أنه لم يخسر شيء في الحياة لكنه خسر نفسه، ولم يخسر مَن حوله، هو لا يخشى المرتفعات لأنه بالفعل في الأعلى وينظر إلى كوابيس القاع، ويريد التخلص منها وانتشال مَن بداخل الكوابيس، يريد كسر تلك القيود ولكن يؤمن بأن التغيير لن يأتي من يوم وليلة، ويؤمن أنه سيأتي لا محالة، فهو لا يعرف معنى كلمة

استحالة، ودائمًا يسأل والسؤال دليل على معرفة الإجابة ولكن، أي إجابة يريد؟ لأنه لا يحب الاجابات الغير منطقية من ذوات النفوس المنطقية بعدم فهم ووعي يتبعون روتين أصم لا يعترف سوى بإتباع الأقدم ليصبح الأقدم هو الحاضر، يعمل بكل استطاعته لتغير الأقدم ليصبح الحاضر والمستقبل أكثر وضوحًا، ولا يقبل بالخضوع والاستسلام في اللا منطق، هو يتعمق بالتفاصيل المؤلمة لكنه لا يستطع التخلي عنها، وعقله غارق بين ركام الزمان، لكنه قرر مواجهة التحديات ومن ضمنها مواجهة خوفه، ويعطي الفرص المتاحة للخلاص لا يحب أن يُبادر، لكنه ينصت فحسب، ولا يعطي رأيه، فكم من مرة أعطى رأيه ويكاد أن يلقى حتفه لعدم تقبل الآخر له، وذهب إلى صديقه صادق إلى المقهى المعتاد، ليسأله تلك الأسئلة التي يطرحها داخل عقله، ووجد صديقه جالسًا وحيدًا يدخن النرجيلة الالكترونية، مرحبًا صادق كنت أعلم أنك هنا على نفس تلك الطاولة، وأتيت لأجلس معك قليلًا.

تفضل يا طه أجلس، كيف حالك؟

- بخير، لندخل في طرح الموضوع مباشرةً، الآلام الروح لا أحد يستطيع وصفها، لماذا؟

عليك أن تبتسم، أتدري! لماذا؟

لأن الكابوس الذي تعيشه الآن لن ينتهي، وسيظل معك إلى الأبد ولن تتخلص منه، ابتسم فحسب ولا تكترث، حتمًا لن تسمح لعقلك أن

يتقبل الأمر، ولكنه سيظل يتجاهل الأمر حتى يأتي الوقت وسوف يصيبه لعنة الكابوس، وسيتم شحن عقلك مجددًا بالصدمات الكهربائية، وربما تصاب بالشلل، عُذرًا! سيصاب عقلك بالخلل وسينتهي بك المطاف إلى الجنون، ولن تسلم من الأطفال الصغار سوف يقذفون عليك الحجارة، وكأن الأطفال لم يمتلكوا سوى الحجارة، ويتم قذفها بجدارة لعدو يحتل المركز الأول في مواجهة تحديات جعلته هكذا، وفقد عقله وربما ذاكرته أيضًا وأن هذا الأمر مُرتب بطريقة ممنهجة، ليواجه مصير آخر وتحديات أخرى في مواجهة الأعداء الصغار بالنسبة له، وسيظل هاربًا إلى الأبد، كُن كالمهرج وابتسم فحسب لا أكثر من ذلك، حتى المهرج الحزن تغلب على ابتسامته.

- لماذا لا ينتهي كل شيء سيء؟ لكن الأحلام كأصنام إبراهيم الذي قام بتحطيمها جميعها، وترك صنمًا كبيرًا واحدًا، ليتمكن من تغيير مسار تفكير سائد مألوف موروث، لا يرى لا يسمع لا يتكلم لا يأكل لا يشرب، لكنه كان رمزًا للأمل الأخير بالنسبة له، ابحث داخلك ستجد بَهْو عظيم أنت تراه فارِغًا، ولكن صنم حلمك بداخله ينتظر منك نفحةٍ من الهواء لتوقظه.

لا شيء أسوأ يا طه، من!

- لماذا تبكي يا صادق؟

لأني وجدتُ مشهد نهاية طفلٍ في حضن أمه، التي تكاد أن تلفظ أنفاسها الأخيرة على موته، داخل حضنها، بارزة في ذهنها صورة ميلاده التي كانت تحتضنه بنفس حب حضن موته.

- يا صادق، "لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها" أنني أناجي الرب دائمًا، قد كلفوني بكل شيء يا الله ولم يكترثوا لتلك الآية، أذوني أحبطوني يمارسون حياتهم اليومية في ظهور أمراضهم النفسية، ولا يعلمون أني محطم، وحدك أنت الذي تعلم، لم يروقني الأمر البتة، وهم مثل الصبار ذو الشوك يأذون صغيرة النبتة، بإمكانهم إمساك الرقبة ليجهزوها للنحر، ولا يعلمون أن النفس البشرية مليئة بالحفر، وهناك نفس أخرى مليئة بالحب، وهم مازالوا يتعاطون السم، أقصد يحقنون السم لنا، سم أمراضهم نرجسيتاهم ولا يترددون بعناقنا، ولكن يروق لهم عناقهم وعناق المنافقون أمثالهم، يثورون ويغضبون ويقدمون السم على طاولة مستديرة الشكل، لنحتسي نخبهم المقدس عليها، الأمر بمثابة معاهدة سلام مزيفة أغراضها تالفة الجذور، وهناك مَن لا يعلم أنهم كانوا مجرد جسور.

فائدة الورود، إخفاء الخراب، وأحدى علامات السلام، ولكن احترس من تلك الورود التي تخفي شوكها.

- نعم للأسف صادق، قد تَمَكَن البرود الذي أحمله، بإزالة الخراب وكوب القهوة الأسود البائس، به حُبيبات قد تَصلُح لزراعة ورود دفينه مُخبأة ولن تجد تربة صالحة لتتمدد بها بعد، فليس كل سواد سيء،

فحتمًا هناك بقعة بيضاء قد تفلح بإزالة جميع صفاتك السيئة، القافلة أصبحت تنبح والكلاب هي التي تسير في شموخ.

لا تستسلم يا طه إياكَ والاستسلام، ولا تكف عن حلمك.

- سأعطيك سؤال: وضعت لك السُم، ثم قُلت لكَ، بأن هذا الحساء الساخن به سُم قاتِل، هل سوف تحتسيه؟

لا.

- وإذا أخبرك أحدهم، إن لم تشرب ذلك الحساء، سأقتلك أنا، فهل سوف تحتسيه؟

نعم.

- هكذا يبدو الأمر أكثر وضوحًا، البند الأول: حين قدموا لك الإحباط واليأس لعدم تحقيق حلمك، وأنت أنصتُ لهُم، فقد قمت باحتساء السُم بنفسك.

البند الثاني: يجب عليك الضغط على نفسك أكثر فأكثر، لتتمكن من تحقيق مُرادك، والذي يحمل لك الحب لا تصدقه أبدًا وركز في نظراته سوف تجدها مُصاحبة الحقد، وليد الفشل الذريع لن يجعلك ناجحًا، لذلك بعقلك يجب عليك تحدي الصعاب.

****

"المهـــدي المنتظـــر"

صباح الخير، لم يأتي النوم بعد، ولا أدري لماذا؟ وأشمُ رائحة كريهة للغاية تحوم حولي، وقلبٌ ينتفض ويصرخ ودقاته تتعالى، سوف يغرق في الظلام الدامس، وسيضاجع الجميع، سيقتلع النقاط السوداء بداخله ليضخ دم، لا لا أقصد ليضخ عطف وشجاعة، فهو سريع الالتهاب، ثم ماذا؟ ثم يتلقى ضعف مناعة، أبعد ذلك الكأس عني، أريد التوبة، لأن الهلع بالنسبة لي نوبة، تبًا له، عشقت كل شيء بين ثنايا العشق الممنوع، عفوًا أنا لا أريد التوبة، سوف يتم تحديد المسار، وذلك الهلع سيكون نوبة حذائي، ضعيف ضعف الضعفاء، ولن أكُف عن نوبات النجاح فهي مصدر إغرائي، ومرحى بالاحتفال، الالتهاب أصبح أسرع ليكون سريع الاشتعال، لست نادمًا على فِعل اقترفته، أتركوني وشأني، كما تتركون الكاهن ماكث بصومعته، لم يقتنعوا بي قط، وجعلتهم يصفقون لي بنفاقهم بجدارة، ويتوددون الاقتراب بحرارة، يصطنعون الحب،

وأنا أشتعل بوجههم بملامح الكُره، أعينهم تلمع بنظرات الود، وتبًا لبريق العيون الذي خلفه الحقد، وفي يومٍ ما، استيقظت في صباح لا يليق بي، فاليوم استيقظت وتغمُرني السعادةً، هذا أمر غريب للغاية! لستُ معتاد عليه، دائمًا في كل صباح وفور استيقاظي مباشرة، وجهي يكون غاضب يثور دون سبب بملامحه البريئة، التي تتحول إلى مرعبة وعروق الجبين منتفضة، أخشى من رؤية الآخرين لها، ولكن لابد من انتفاضة قاسية، لتليق بكل مَن يحتاجها، بل أنا الذي سأحدد قيامها، أكتب الآن من أجل اكتساب الضحكات لاحقًا، ما زلت راضيًا ولم أفكر قط في أن أكون عاصيًا، خراب خراب خراب، وأشياء داخلية تحدث ليس لها تفسير، وكل ما لا يروق لي سيكون له حساب عسير، وسيصطدم بنرجسيتي التي ستؤدي به إلى أسوأ مصير، لأنهم لم يفعلوا ولم يتركوني كما أريد، يظنون أني بائس، وبالفعل حياة البؤس بارعة ومتمكنة جدًا في إمتاعي.

* وصفع صالح بكل قوته وجه صلاح، قائلًا:- ما مصير البشرية؟ أيعقل الموت قبل تحقيق جميع أحلامهم!

سيموتون جميعًا دون لمسها.

- لن أكف عن شراهة تحقيقها، ولن أكف عن إفلات الأذن لهمسها.

السماء لا تبكي سوى لحظة نزول المطر.

- تبًا لكل خزي وإحباط تأثر بها نفسيات هشة وانتصر.

أنت مجنون!

- وسأظل هكذا، سأحبس أنفاسي، وسأنفجر بالموعد المحدد.

أحمق أيضًا.؛ سوف تصاب بأذى نفسك ومصيرك الانتحار وهذا أكثر حكم مشدد.

- سأدخن الغليون وسأشاهدك تحترق.

لن تصمد كثيرًا وأحلامك لن تخرج خارج غرفتك ولجدارها لن تخترق.

وتناثر الدخان من فم صالح قائلًا: تبًا لك.

أنصت إليّ أيها الأحمق أريد منك أن لا تضع نفسك داخل أحلام مبهمة الملامح، في زمن المسيخ الدجال والمهدي المنتظر لن تحظى بشيء إطلاقًا.

- هاهاها.. أضحكتني كثيرًا؛ لا تخشى ادعس كل عائقٍ يقف بطريقك؛ تعيس أنت ولن تعيش، حلم لقى حتفه لعدم وجود الأفكار، أو تم توقفها بسبب العوائق، عليك تغيير الأقدار، كلما كبرت الموت يقترب، لا تكن مثل مغترب في بلاده، كغربة أحلامك عن عقلك، تذكر أنك كنت مجرد نطفةٍ تحارب من أجل الظهور، أيعقل الآن أن تستسلم!

صالح لقد فقدت الأمل في كُل شيء ولا أريد المجازفة مرة أخرى، أصبحت في تعداد الموتى الأحياء، ولم يجذبني شيء البتة.

- صلاح أنصت مجددًا: دقت الطبول التي تدل على قدوم الحروب لا محالة، لا شيء يستحق عناء التفكير استحالة، لِما نحن نستسلم لبطشه لنا! تاركين آثار الندوب ليس فقط على الأيادي، حين سمحت لهم أن

يأذوك حتى بكلمة تركوا بعمقك ندبة، البشر هم الوحيدون أكثر قوى الشر، نبذة مختصرة لا تستحق عناء القراءة، تعددت الألهه لعدة أسباب نجهلها، هو يؤمن وأنت تؤمن، هو يدافع وأنت تدافع، لست غافِلًا عنه وهو كذلك، ذهب إيماني هباءً، سوف تغرق السفينة بما عليها، ستتوقف الأمواج وستتحول البحار والمحيطات إلى رمال صحراء جرداء بائسة، ولن تجد الكهوف المؤنسة، يتصبب الجبين عرقًا بسبب درجة حرارة الشمس الموحشة، حفلات شواء حين أخرج البركان الثائر غضبه، امتلأت الأرض ظُلمًا، كالزلازل التي سوف تأتي بقسوة، ولن تجد مخبئًا، وسيكون مصيرك مثل حصوة، نحن في آخر الزمان وهناك حلقة مفقودة بالفعل، كالقلادة التي تحمل سرًا دفين، ستسمع البوق يصدر صوتًا حادًا، عاجلًا أم آجلًا ستصيبك لعنته، في حب احتساء دماء المظلومين التي تجلطت بالأرض، لعنات ظلمات نعيشها الآن، معاصرٌ لخروج الدجال، لكن سينتهي كل هذا ونسير نحو العدل والسلام والحكم الذي لا يشوبه فساد ورخاء لا ينتهي.

❊❊❊❊

"ورقة تـاروت"

مكتئب يكتئب كُلما ينجح ويتمكن من الحصول على المتعة، المُعضلة الكُبرى أنه ينجح يريد أن يفشل لو لمرة واحدة، سبب اكتئابه شعوره بأنه كرت محروق، ويداه مثل العصا السحرية تجلب كل ما لذ وطاب، وحوله الكثير من الفتيات، يحب هذه، ويترك هذه، ويلقي هذه بسلة النفايات، ويعتقد أن بداخله ديجور يتمكن من التوغل داخله ويأكله، بسبب أفكاره وتفكيره عاشق للتفاصيل، ويتحدث مع نفسه قائلًا: عذابي اللعين عفوًا أقصد اللذيذ، عذابي الممتع، كل ليلةٍ يكون لدي الرغبة في أن أسهر، وأتلذذ بك ممسكًا بالورقة والقلم، وأبدأ بتدوين الأفكار التي برأسي، ولكنها تأبى الخروج، لكنني لا أجد الكلمات المناسبة لتفي الفكرة حقها، وغضبتُ وطرحت فنجان قهوتي أرضًا، ووجدت اللذة الوحيدة التي اكتفيت بها هي التفكير المطلق المعذب، فلا بأس، أن يصرخ العقل صرخة غضب أثناء نومك، أو ربما

الاصطدام بالكوابيس، فالمقهى الذي اعتاد الذهاب إليه، أصبح ممل للغاية، القهوة الجرائد، الراديو، الأفكار المتراكمة التي تخشى الخروج على الأوراق، والقلم يحاول إخراجها، والموسيقى التي يحب سماعها، كل الأشياء أصبحت مملة، الغرفة وجدرانها، ومواقع التواصل الاجتماعي، كل شيء وكل ما تتخيله، المقاعد، ولكن خلف تلك الأشياء المملة فنان صاعد، وعقل يشع نورًا ويغمُره تفكير عميق غامض يؤلمه، والكثير من الأشياء المؤلمة التي تحدث حوله، ويبكي في ركن الغرفة، ويكاد الصداع النصفي يحطم رأسه، والأرق المصاحب لنومه، ويكاد المنطق أن ينتهي بنهاية مأساوية.

"عقول حين تناقشها تشعُر بصدقها، ومن جهة أخرى تدثر الخُبث بعمقها".

أريد أخذ قيلولة لعلي أفيق منها على خبر سار وأمل جديد.

* استيقظ بعد خمسة عشر دقيقة، على صوت هاتفه الجوال.

مرحبا يا جمال، كيف حالك؟

- كم أريد مقابلتك يا رفيق الدربِ، منذ زمنٍ طويل لم نلتقي.

سأقوم بأخذ حمام ساخن وأبدل ملابسي.

- وأنا أيضًا سأفعل هذا، لنلتقي بعد نصف ساعة من الآن.

* دخل خالد إلى المرحاض، وبدأت الأفكار تتوالى داخل رأسه، أطنان منها تريد الخروج ولكنها تأبى قائلًا:

"أفكار مشوشة وأسعى جاهدًا أن تستقيم، أريد إقامة الحد لعقلٍ شريد، طامعٌ للحصول على إذن مسبق للراحة، في مكانٍ يرفض جسدي المكوث به، سمعًا وطاعة، وتفكير عميق غامض يؤذيني، أشتاق لتهدئته، وهو يتمادى، وكأنه عالةٌ على جسدي".

وبعد الانتهاء من دق هاتف خالد مرة أخرى: جاهز الآن يا جمال لنلتقي بالمقهى المعتاد الممل.

- في طريقي إليه يا صاح.

حسنًا سأرتدي حذائي فقط.

- تصحبك السلامة.

* وتعانقا في وقت اللقاء، ذرف جمال الدموع قائلًا: تغيرت ملامحك كثيرًا يا خالد منذ مدة ليست قصيرة كنت شخصًا بملامح مرحة سعيدة، أما الآن باهتة تمامًا، ما السبب يا رفيقي!

سأحكي لك يا جمال، أنصت فحسب: تتوالى النجاحات واحد تلو الآخر، وأكتئب أنجح أكثر أكتئب أكثر فأكثر، وعيناي تكاد أن تمطر دمًا، في كل ليلةٍ تحديدًا بعد الثانية عشر بعد منتصف الليل، شياطين رأسي، صداع نصفيّ، يكاد أن يشقها إلى نصفين، ولا أدري، أين الخلاص؟ بالرغم من فشلي سابقًا كنت لا أشعر بشيء، إنما الآن ها أنا أسقط تحت طائلة الاكتئاب الذي يفتت ثنايا عقلي.

- ألن تكُف عن عد الخيبات؟

أنظر لفنجان قهوتي الطازجة ذائبة الحبيبات!

- ألن تضع الإكليل على المقابر؟

لم يفعلوا الممكن وفعلت المستحيل وكنت مجرد عابر.

- ألن تكُف عن ازدراء نفسك؟

يجب أن أحبها، أليس كذلك!

- والآن وتنسى كل ماضي كان.

عقلي لم ينتهي من التفكير.

- لا تكُن مجرد عورة!

كيوسف ألقوني غيابة الْجُبِّ.

- ربما أكون القافلة التي تسير وقمت بانتشالك.

ولماذا لا أفلح بانتشالي؟

- يوسف كان صاحب رسالة وأصبح عزيز مصر.

أتقصد!

- نعم هو كذلك فلا تيأس.

****

"بـــداية أم نهـــاية"

دعهم يقولون ما يقولون، بداخلي الخير والشر، وأهاب أن أجيد استعمالهما معًا، وستعم الفوضى والصخب بالأعماق أكثر، هناك ندوب مخبأة، كالظلام الذي يأكل الضوء تدريجيًا ليحجب انتشاره، كسمك القرش الساعي لاغتيال أفعال الدولفين الذي يخشى افتراسه، فيفضل المكوث مغترب، الأمر فقط هو عدم استطاعتي لفهم وجودي في وسط الحطب، القدر قد يكون ضعيف ولكن أوامره حاسمة كالموت تمامًا، أنظر للأشياء لأكتسب منها إلهامًا، فلنشكر أنفسنا على الصمود أمام الأشياء السلبية احترامًا، لأن الصدق لقى حتفه في عناقٍ كاذب، وهذا الكاذب قد تَمَكَن من استغلال الفرصة، ليضغط على عاتق الجميع، ويتوعدهم بنحر رؤوسهم، ويحتسي دمائهم رشفة رشفة من كؤوسهم، ليحظى بشيء من التَّميُّزَ، وعلى الصادقين أن يتجنبوا التَّحيُّزَ، لا يهم سيكون كل شيء على ما يرام، ولكن لا أدري متى ينتهي

الإجرام؟ وهل بإمكاننا أن نحظى بعالم ملئ بالاحترام؟ أم انتهى بنا المطاف نحو ذلك!

- لا توجد هدنة للحب بإضافة حرف الراء، كلاهُما عناء يؤدي إلى الموت.

مَن أنت يا صاح؟!

- سمعت كل كلمة قُلتها، وأريد أن أحظى بشيء من التطفل، لماذا أصبحت تتساءل وتسأل نفسك ولن تكُف عن السؤال؟

لا بأس، ولكن كم أشتهي لقتل أحدهم، وأرتدي الحزام الناسف وأتجه نحوهم، ونحظى كلانا باندماج أشلائي مع أشلائهم، ثم تستيقظ من كابوسك اللعين، علمتُ بشأن غُسل الأدمغة، انتمائك بتلك العشوائية والفوضى للحب للصداقة أو للعائلة، فهناك فتيل يكاد أحدهم شده لتصاب بعاهة أو ما شابه ذلك، أو ربما يتم بتر أحد أطرافك، ولن تتمكن من معرفة جمع شتاتك وأغراضك مجددًا.

- ماذا عن العناء من وجهة نظرك؟

نتكبده، لأن كل ما فعلوه بنا هو أننا أصبحنا ننهار. صحيح، ما اسمك؟

- اسمي هو: فادي.

وأنا: عمرو.

- تشرفت بك كثيرًا، لنتحدث قليلًا.

لم أتخيل يومًا أني أريد التخلي عن غريزة البقاء، لا أريد سوى الاستمناء!

- مراهق!

لا تقاطع حديثي أيها الأحمق، استمناء الأفكار يا وليد أفكار مبتذلة، صراع مع الذات وجلده، لا بأس كل ما لا يروقني سوف يمضي قدمًا نحو العدم.

- أنت هنا في مجتمع يعيش على نفحات الندم، ماذا تريد؟

أريد الاستمناء لا أكثر، الاستمناء على كل شيء، لينتفض رحم المجتمع بالأفكار قبل اتخاذ قرار الانتحار، بل اتخذته بالفعل.

- لمن ستترك نوباتك؟

أريد التخلص منها لأنها تؤذيني، وليرتاح الجميع مني.

- أنت مجرد نطفة تسعى لتغيير العادات الغير منطقية، إذن، ستظل عالق في اللاوجود، لن يتغير أحد.

أصمت لا أستطيع تحملك، أريد حمام ساخن.

- لتملأ البانيو وتتخيل أنك على كوبري فوق نهر النيل، وتقفز!

على الأقل لترتاح نفسي، لمجرد تخيل الفكرة لا أكثر.

- ستظل مبعثر.

****

"مـلاذ المجـد"

سأعلمك تحريك الأشياء عن بعد، وكيفية إلقاء النرد! تحركه بعينك لتحظى بالرقم الذي تريده، وهي إحدى علامات خروج العقل عن المألوف، استمتع واستمع لعقلك، في تلك اللعبة لا قلب لا شعور بل سوف يدفن داخلك، حينها الحكمة سوف تتكلم ستسمع أنينها، وإذ نبض قلبك سوف تدعسه بقدميك، ستركع لك أحجار المنازل، سوف تغرق بالكنز الذي بداخل عقلك، نعم لا تندهش هكذا الأمر أشبه بذبابة مزعجة بجانب أذنيك، لكن تلك الذبابة ربما تحمل رسالة لك، قد تعجز عن تفسيرها، والأشجار ستعطيك أخشابها وثمارها، قد لا تكون رسالة ربما جحيم، وتحتاج إلى الذهاب للقطب الشمالي لتهدئة عقلك من لعنة التفكير، دعك من كل ما قُلته هذا ليس له أي استفادة ولكنها ممكنة، ليس بطريقة ممنهجة لا أكثر، أعلم أنك تجيد الاحتراق الذاتي، لأنك تركت جميع الملذات جانبًا بل وطرحتها أرضًا، في إحدى

المرات القادمة سوف تتوالى الأحداث، ليس لديّ سوى إنشاء تنبيه هام، لن يستخرج الفرج مِن رَحم الأوهام، يجب أن تؤمن بالصبر لأنه إحدى مفاتيح مطرقة هدم عذاب الأعوام، لن يكون لديك موهبة الشعور بالأمل، سوى أنين يهمس داخل أذنيك لا وجود لِما يسمى بتلك الترهات التي تتفوه بها، ما الذي تقوله يا هذا؟

أترك طلاسم جهلك هذه هناك علماء تعمل على فكرة جلب الأشياء بنظرة، وأنت ما زلت تختلس من ضعفاء الفكر ما يروقك، وتهاب أن يتم اكتشاف أمرك، وترتعب من فكرة النظرة، لأن من خلالها سيتم وقف إطلاق نار ممارسة تعاويذ وطلاسم جهلك لضعفاء الفكر، ولن تجد مصدر رزق لك، سوى التفكير في حيلة أخرى، لكنك لن تفلح حينها، لأن العلماء قاموا بتقديم المعلومات بحقنها خلف الرقبة، وهذه تقنية جديدة يتم كشف احتيال أمثالك، من خلال مَن أصبحوا أقوياء الفكر، بعد أن علموا بأمر استغلالك لهُم، أنت الآن أصبحت ورقة تاروت محترقة، وستصبح لعبة بين ثنايا قوة عقولهم ستكون أرجوحة معلقة، في حلقة فارغة مغلقة، وستظل هكذا ولن تجد أي حيلة لممارستها لأنك في سبيل جشعك لقيت حتفك، وستظل سجين الحلقة.

- لماذا تحبطني يا سمير؟

لأن هذا الذي سوف يحدث عاجلًا أم آجلًا، يا حمادة.

- ولماذا أنت بداخلك يقين بهذا؟

في إحدى المرات استيقظت مغمض العينين، ذهبت للمرحاض لم أستطع فتح بابه، وحين تم فتحه اصطدمتُ بجدار غريب الشكل، يبدو أنه محطم نظرت حولي، وجدت أني ماكث بين فك مفترس، لذلك بداخلي يقين تام بأن الأمر سوف يزداد سوء، متمنيًا أن أكون على خطأ.

- هل أمراض سوف تصيبنا أوبئة أو ما شابه ذلك؟

بعد هذا الكابوس، حملت جسدي الطائر ونظرت على سريري وجدتني نائمًا، ثم تفاديت سقف الغرفة، وجدت تلفاز بشاشة مسطحة يقدم نشرة أخبار عن موت أحدهم في عام "٢٠٣٠"، بل موت الآلاف والسبب أن جميع الأمراض العضوية انتهت وحلت محلها الأمراض النفسية كفيروس ليس له لقاح.

- ملامحنا أصبحت باهتة، كنبتة وحيدة في أرض بور، ولم يصلها قطرة ماء، حتى ذبلت تمامًا، هكذا نحن!

قلت سابقًا هيا لنفعلها، ونطلق سراح أرواحنا المعتقلة لعلها تكون بخير، سوف تغرق السفينة بما عليها مِن أثقال، فالروح مثل تلك السفينة تحمل ما بوسعها وقد حان الوقت لفعلها.

- أجل أجل أجل، رب العباد هو ذاته رب السفينة، لكن عليك الحذر يا صاح أن ثقب الإبرة كفيلة بإغراق أسطول كاملًا وليس سفينة فحسب، فكل قطرة عرق نابعة من جسد يرتجف خوفًا قد يحدث من خلالها طوفان، يلتهم كل ما يروق له، الحياة ليست عادلة مطلقًا.

رب السفينة، أي رب بالضبط؟! القبطان الذي يظن أنه إله سفينته التي تحمله، أم رب البشر الذين يسعون للتخريب ولا يسعون للتعمير، لا أظن أن الأمر يتعلق بالرب لأن الرب لم يخلق الشر، البشر فعلوا، سوف يكون هناك أمل أو لا وجود له، ونظل عالقين في اللا شيء، اللائحة لدرجة لا تطاق، حيث قانون الوجود قام بازدراء الروح، التي لم تسعى لمرة واحدة للبوح، فتسعى للدعاء، ربما لم يتم الاستجابة، ربما تلك الملامح التي نحملها هي الأصدق والأنقى وليس سوانا فعلنا ذلك بأنفسنا، لعدم تقبلنا للواقع.

- لماذا غريزة البقاء هي المتحكمة بنا يا سمير؟

إذن، هيا لنفعلها، ولا أدري ما فائدة ذلك البقاء مبهم الملامح؟

- أنه ملاذ المجد اللعين، فالكل يسعى له بطريقة ما، فليس من المنطق أن تلقي اللوم على الموج، أنه حاول إغراقك وأنت لا تجيد السباحة.

****

"احتساء الشر"

راحل رحيل التعساء، في حُبٍ ضائع، فاقد للحواس، حقل ألغام، نحن تحت مظلته، هناك مَن يهاب من التوغل بعمق العلاقات، يهاب أن يضع قدميه لكي لا ينفجر ينبوع مشاعر خائف من ظهورها، سمائه ليست صافية، لونها كلون مياه تَمَكَنت منها الشوائب العالقة في جوف الصنبور، احتساء الشر أشبه بذلك الصنبور، كل ما يعبر من خلاله يتلوث ويمارس عليه الشر، كالرثاء على فلسطين مثلًا، لا تجرؤ على فكرة تحمل المعنى تهاب تطبيقها، فهذا شر، الأشياء التي أحببتها يومًا تركتها، حيث أن اللا شيء أصبح كبرياء صمتها، موج البحر مرتفع لن تستطع الوصول للبر، ونفوس البشر مرتفعة تسعى لممارسة الشر، لم أكن مدرك بأن الثأر والانتقام يؤخذ، تلاشيت الملذات حتى أصاب قلبي بوخز، جثة هامدة أثناء ولادتها وحولها علامات استهجان، عدم

اكتمال المشهد المخرج تخلى عن الإخراج، النوم أصبح لا يفيد بعد أن نعتوه بالسلطان،

الوعي الزائد مؤلم فالعقل يحتاج إلى الإفراج، عبث داخل عقلي.

- ماذا بك يا إياد؟

حدث موقفٍ ما! يا تامر.

- أيمكنك أن تسرده لي!

نعم، لِما لا! طلبت منها الآتي في الهاتف تحدثت معها بتلك الطريقة، قومي بدعوتي إلى حفل زفافك اللعين، وسوف اتوغل خلف جِدار الذكريات، سأجعلك تشتاقين، مُحتَرِفٌ أنا في فن التغلب على قلبك، وشريط الذكريات سوف يتوغل أكثر فأكثر داخل عقلك، ويكاد المصور يعرضه على شاشات العرض، من خلال إشعاع عينك، سيسود الصمت حينها، وأنا سأقوم بالرقص فوق لهيبها.

- ماذا بعد يا إياد؟

ذهبت إلى الحفل وقُلت: أيها الجمهور أنصتوا جيدًا لي، أنا هنا لكي أفسد عليكم الحفلة، وسأرقص على شظايا قذائف غضبكم، وسابتسم ابتسامة حمقاء مثل أفعال بذيئة أهل الحقد، القدر أراد وأنا عصيت إرضائه، وأراد إفساد الحفلة بواسطتي، اقتربت منها لوهلةٍ، نظرت إليّ بعينين جاحظتين وزوجها كذلك بنفس تلك النظرة، هي تعلم أني خجولٍ بجدارة، ثم قمت باحتضانها بحرارة وأدمعت عيناي شوقًا بلهيب ذكريات وحكم القدر أقوى.

- يا الله، كم أنت قاسي إياد!

ثم ذهبت إلى الخروج وقمت بالاعتذار وجدت زوجها بالبكاء ينهار، ومزق ورقة كان يحملها معه وترك زفافه وذهب، وشاء القدر أن تكون هذه ليلتي، وأكملنا الليلة سعداء ببكاء، شاء الله أن تكون لي فأصبحت لي يا تامر.

- ماذا عن احتساء الشر؟

أجل أجل أجل، لقد كنت حساء طازج عليه قطع من فتات جسدك، قدموا لك نعشًا لأنك قبلت بأن تلبس الكفن منذ البداية، لذلك تُبَدِل وجهك كل ليلة، ساعة، دقيقة، تُبَدِله وأنت تتأرجح ما بين الحزن والسعادة، الأمل واليأس، الشيء واللا شيء، أليس هذا صحيح؟!

- أتقصد يا إياد أن الإنسان هو الذي يحتسي الشر بنفسه، دون تفكير منطقي.

هو كذلك يا تامر.

****

"محتوى مفقود"

سأحكي لكم الآن عن بركان الحروف الثائرة، وكيفية تشكيلها لتصبح سفينةٌ عابرة، خسارة الأشياء في حد ذاتها مكسب لخبرات حياتية، كالورد الذي يحمل الشوك للحفاظ على حياته النباتية، كالدجال الذي يستعين بالجن ويمارس كل ما يتعلق بالغيب، تبًا له وتبًا لكل مَن أنصت إليه، زوبعة فكر كهَيجان الرِّبح وتصاعدها للسَّماء، صمت الألم أنقى ابتلاء، لا تجعلهم يسرقون أحلامك التي بالنسبة لهم إغراء، ولا تجعل نوبة الهلع تقتحم ثنايا قوة عقلك، ولا تجعلها تتمكن من ممارسة خفقان قلبك، لأن تلك النوبة خارج القلب فسوف تلقى حتفها بالعدم، في يومٍ لا يفيد به الندم، سوف تشعر بتلك الحروف لأنها خارجة عن المألوف، ماكثة بصمودٍ تام بما يسمى بالظروف، أريد المكوث داخل صدرك، سأتناول جرعة زائدة من ذروة المجد، وسيركع لي الحشد، موسيقى السَّماء لن تأتي في ذلك الشتاء، لأنها لو أتت لن تهدأ حروف

متمردة، دائمًا تضاجع عقلي، وأضاجع قلبي ليهدأ، ولكنه بداخله ديجور يتمكن من الهدوء، لأن القلب ألذ طلبته غير صحيح، كالثعبان الذي يدافع عن نفسه بإصدار فحيح، تدفقت الصدور، كمريض نفسيّ ينتظر مجيء الطبيب لكن دون جدوى، اختلافه جعله هكذا، نبذة مختصرة عن محتوى مفقود، في حلقة داخل الجليد الذي ينصهر، سوف تطوف تلك الحروف في بقاع الأرض، كالشمس التي يتجدد فيها الضوء لتشع العالم بالنور، وما زال صدري مُظلم، "إِنَّ اللهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ".

- لِما كل هذا التوتر يا رفيق!

فاصل ونعود، فاصل بلا عودة، ولا توجد أوسمة تدل على العودة قط؛ جثة نابضة بالحياة، ويجوز أن نطلق عليها جثة، لأنها فقدت الأمل، الأمان، الأحلام، السعادة، وربما الحزن أيضًا، لكنها لم تفقد النوم، الذي لم يصبح ملجأ للهرب، الجميع دون استثناء أحد، يريدون النظر إلى الصورة الضاحكة لا أكثر، يهابون النظر إلى الأعماق، وحين نظروا إلى عمق أنفسنا وكادوا يتألمون، ابتعدوا لخوفهم من الغرق بالعمق.

- سوف يطلقون عليك لقب الجنون لأنك مختلف الأفكار!

لا بأس من ذاك اللقب، فهو يليق بي من وجهة نظرهم، وأراه الأنسب لعقولهم.

- سيزدرون فكرك، سيحطمونك، سيغتالون أحلامك، لن تصمُد كثيرًا.

بالفعل قالوا ولن يكفوا عن القول والاتهام دون الحاجة لدليل.

- هل يمكنك إجادة البديل؟!

حاولت ولكن لا أستطيع التأقلم، في حالة أنهم يسعون للانتقام.

- ماذا فعلوا بك وقالوا عنك؟

قالوا بأن حروفي مضيئة، قلت أنها مظلمة لا تستحق عناء القراءة، وأحدهم قال لي أكبح جماح أفكارك الملعونة، لم أكترث لأني عشقت تلك المرأة الموشومة، وأدخن النرجيلة، وأستفيد من النيكوتين، رئتاي بها سحب دخانية، روحاني لجلب الحبيب، يعبث بالجن ويمارس طقوس غُسل الأدمغة، وهناك تابعين له، إلا تلك المرأة الموشومة التي عشقتها، فقالت لي أنت سوف تحقق المستحيل للحصول على أفضل النتائج من كل وشمٌ بجسدي، آمنت بتلك الطريقة، فأصبحت لي صديقة، تغتال أفكاري، تعبث برأسي، تحطم وكر الخوف بداخلي، لأنها تعلم أني محاط بالفشل، وهناك مَن يقدم لي حساء الكسل الساخن، تمتلك عظمتين أسفل الرقبة تظهرهما دائمًا، لأنها تعلم أنها نقطة ضعفي، خاصة ذلك الوشم المرسوم بينهما،

وعبارة عن طائر أسود اللون بعينين حمراوين، يحدقان إليّ، والعينين يحملان لي رسالة، سيكون كل ما يقع بين يديك سوف يلين، وبصماتي توغلت دون لمسها، وبالفعل تحقق غُسل الأدمغة بنجاح، ومن وقتها أظهرت لي كل مَن تَمَكَن منهم النباح.

- حيث اجتمع سِرْبٌ من الذباب.

نعم خوفًا من عواء الذئاب.

- فنك مصري.

نعم وليس مجرد عرض حصري.

- الأمر أشبه بترويض مبادئ ضائعة.

بعقلٍ فارغ مؤمن بالشائعة.

- وهناك عقلٍ صارخ.

لن يكُف عن الصراخ.

- في سبيل تغيير القلوب الخاوية.

وبسبب ذلك روحه مليئة بالندوب.

****

"يقين مبعثر"

صراعٌ طويل لن ينتهي، وشاء القدير أن انتهي تحت طائلة اختبارات طويلة الأمد، ولم يتحقق مرادي بعد، وأهاب الموت بشدة دون الوصول إليه، فليس من المنطق أن يموت الإنسان قبل الوصول لمراده، وليد فشل دائم وخوض معارك صراعه، فمن الجدير بالذكر والمنطق أن يسمح القدير بتعديل القدر بعض الشيء، لا أدري! لماذا لا يروقني الأمر؟ وكثرة التساؤلات تجعلني أرفض مقارنة نفسي بأحد، ولكن الأمر لا أستطع تحمله، ولا أستطع فهمه، ولا يروقني التجاهل، ولم أتمكن من أن أكون غافل، عقلي غير قابل لفكرة اللامبالاة، اتظاهر بها دائمًا، ولكن داخلي عكس ظاهري، أفكار تساؤلات حول العالم أجمع، ويكاد العقل أن يصرخ بأعلى صوته الذي لم يسمعه أحد بعد، ولكن سوف ينصت له كل شيء، حتى مَن به صمم، خلل فيزياء الكون، فأين يد العون؟! لكوني أظل في التساؤل ينعتوني بالجنون، وهناك مَن

ينعتني بالفيلسوف النجيب، البشر بشكلٍ دائم أمرهم عجيب، لا يعجبهم شيء البتة، وكادوا أن يقتلوني بسببٍ كثرة الأسئلة والملل التي تحتوي عمقها، لا يتقبلونها لأنهم فاقدين المحتوى، ما فائدة العمل الذي يكاد لم يكفي شراء الأطعمة؟ ستظل متعب في حياتك كثيرًا وتعيش روتين ممل يوميًا.

ما فائدة الحب الذي لم تبوح به؟ سيظل صامت صمت الأموات.

ما فائدة الإنجاب لأب لا يستحق ويقتل أطفاله، ومن جهة أخرى لا ينجب الكثيرين ويشعرون بوعكات نفسية في سماع جريمة قتل لطفل يتمنوه؟ مَن الذي يستحق؟ هل الذي يقتل طفلًا أم الذي لا ينجب؟! أين هو العدل؟

هناك أيضًا من يلقي أطفاله، حتى وإن كان تزوج بطريقة شرعية صحيحة، مَن الذي سيحاسبه على الجُرم؟ وما ذنب الطفل كونه أتى بين أب وأم يهملونه؟

"طفل يعانق الأشواك في إحدى الممرات المليئة بالقمامة، ولم يكف عن البكاء يحتاج لعناق أُم بدلًا من الأشواك، وبجانبه أنثى كلبٌ تلهث عطشًا، قامت بتبني الطفل وإرضاعه لتشعره بحنان فقدان الأم.

ألم يحين الوقت ليغير القدر حساباته ويكف عن إعطاء مَن لا يستحق؟!

رأسي تؤلمني بشدة؛ يا الله أتمنى أن تستجيب لدعائي، في أثناء سجود بكائي، أعلم أنك تسمعني، ولكن الأمر خارج عن سيطرة البشر، الأمر يحتاج إلى رجوع المعجزات مُجددًا، يتمكن مني يقين أنك تعلم كل ما

يدور ولست غافلًا، أريد الراحة يا الله، نفسي مليئة بالندوب، وأعلم أني مليء بالذنوب، وأعلم أنك "غفور رحيم"، تعلم أيضًا أن لا يصلُح للبشر بالتدخل، لأن كل التدابير هي بيديك، أناجيك يا الله بأسمائك وأسماء أنبيائك، الذين في زمنهم كان مليء بالمعجزات، والرسائل الإلهية، نحن نحتاج إلى تدخل إلهي وليس بشري، نريد معجزة واحدة لا أكثر منها، معجزة حاسمة لكل أمر سيء لتنهي السوء، ولا نلتقي بالأسوأ، فلتستجيب يا الله لمناجاتي ولدعائي، تدخل يا الله تدخل، فالموت ليس حلًا، البشر جمعاء تريد أن ترى تدخلك، لكي لا يشكون بعدم وجودك يا الله، حشاه لله، والعياذ بالله، لكن يا الله الأمر بيديك، وأعلم بأن الذي يحدث تحت اسم الدين لا يمت الدين بصلة، وأنك لم ولن تجند أناس يحمون راية الإسلام يا الله، فاللهم استجابة ومعجزة تشفي غليل الألم الذي يغمُر الكون، فالأمر أصبح أكبر من طاقة البشر، تلتقي الأرواح، لتبكي ليلًا، البكاء لم يعُد يفلح، وزوايا الغرفة، لم تحقق الراحة لك، وتتساءل، لماذا لم تحبك الأرض؟ فكيف تعطيك السماء رحمتها؟

الأرواح مشوهة بسبب عدم وجود الإجابة، وأشياء أخرى.

- سمعت كل كلمة يا بُني: ماذا بك؟ لماذا أنت مثل قبطان؟ ولكن قبطان اكتئاب، حليف استراتيجي، في أخذ الجدار ساتر، ربما للبكاء على وضعٍ ما، ربما أيضًا عدم وجود نتيجة أنك تعافر، والشغف بالنسبة لك كافر، يرى عقله مجاهر للمعصية، والندوب هي العاصي الحقيقي،

وستظل الحليف الاستراتيجي، خطط منتهية الصلاحية، في المكوث خلف الكواليس، وأحلامك جميعها كوابيس.

يا أمي، أحاول محاولة لتبسيط الثقافة المجهولة، وأنتِ تدرين بشأن البحوث والدراسات التي أفعلها والكتابة، حيث قالو حيا الله كاتب لن يقرأ له أحد، خلف تلك السطور وهمٌ يرونه عمق، قالو لي هكذا بالفعل، أنها تحمل رسائل غامضة، مفعمة بالروح النابضة، والغاضبة أيضًا.

- نعم يا بُني، وها قد سافر القلم في إحدى بقاع الأرض، لإحياء حفل مراسيم تشييع جثمان الكتاب، بيد أحدهم لينبض عقولهم، وتركوا الحديث في سبيل الاستمتاع بالصمت المتحدث بين أيديهما.

لا ديني يقين مبعثر، قام بحرق الشغف، وترك بقايا إنسان قد تلف، الأزمات متتالية، حين كنا أطفال سعينا لنكبر بل بقسوتهم كبرنا، وأصبحنا نلجأ للمقاهي، في حب فنجان قهوة يأتي بالخطأ دون سكر، وقد طلبها محلاه.

- ولكن يا بُني، ما أقبح الواقع!

يا أمي، وما أجمل الكلمات التي تحمل قبح الواقع! وهناك ميول تمثيلية في حب السينما، جولة ميدانية في رأسي، كل طرف ضد الآخر، أحد الأطراف يقول افعل والآخر يقول لا تفعل.

- تخاطر بحياتك في سبيل تهنئة تحمل خلفها مصالح، وما زلت لا تعرف الصالح من الطالح.

أمي، وضع النادل القهوة على الطاولة وأتى بها دون وجه ولا يدري أن أبسط الأمور تعصبني، فسكبتها بوجهه ورحلت، حتى النادل في طلبي يعصيني.

- الحب في هذا الزمن ينتهي بالعداوة، ولكن حب الله لا ينتهي، ابتلاءه لك دليل على حبه لك.

لماذا لا يستجيب لدعائي؟ تغمُرني الدموع أثناء السجدة، هناك أشياء لا يقبلها العقل البشري يفعلوها البشر ذاتهم، كالقتال باسم الدين يستخدمونه بطريقة دموية بحته، يفسرون الدين على مقاسهم لا أكثر.

- أعلم هذا يا بُني، قال الله في كتابه العزيز "إن بعد العسر يسر".

نعم هذا صحيح وأقتنع بتلك الآية جيدًا، وقال أيضًا " لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم". وهناك عادة مجتمعية في أصلها يهودية تحث عليها الديانة اليهودية لأنها ديانة تشريعية توحيدية أيضًا.

- ما هي تلك العادة يا بُني؟

الختان يا أمي الختان.

- أنا لم أختنك يا بُني لا تقلق، أنا لا أتبع عادات وتقاليد المجتمع في أذية فلذة كبدي أرى هذا الفعل مؤذي.

أعلم يا أمي وهو بالفعل مؤذي، الختان مؤذي جدًا للرجال والإناث، بالنسبة للرجال فالقلفة تحمل الخلايا الحسية، وتحميه من الأضرار الناتجة من الاحتكاكات في الملابس، وتعمل بشكل دائم على الترطيب، غير أن الدفاع المناعي في تفادي الأضرار، من خلال

الإفرازات المضادة للبكتيريا، بالنسبة للإناث، ألم شديد في الحيض والنزيف والألم أثناء العلاقة الزوجية، غير أن الآثار النفسية والتشوه الناتج من استئصال البظر، أو القلفة من الختان والتقرحات لكلاهما، وهذا ناتج عن العادات والتقاليد المجتمعية والدينية، على أساس أن الختان يحافظ على النظافة الشخصية والتربية لدى الإناث.

- يا بُني هذا جهل بالحقيقة وعدم وجود المعرفة.

جيد أنكِ توافقين الرأي.

- يا بُني عليك أن تدرك جيدًا بأن "العقل ما دام عاهرًا لن تجد سوى العهر أمامك". هذه العقول تحتاج إلى الاستئصال.

كنت أعتقد بأن امتلاكهم إجابة واحدة مشابهة هذا دليل على أنهم على صواب، ولكن اقتنعت بأن إجابتي المخالفة لهم هو الصواب ذاته، بالرغم من اعتقادي سابقًا أني على خطأ.

- كُلما كَبِرت دقيقة واحدة على الأقل، أدركت أنك في السابق قبل تلك الدقيقة، اتضح لك بأنك أحمقًا، بل ازددت أكثر حماقةٌ، حينَ أضعت تلك الدقيقة في اللا شيء.

أمي، سُحقًا وألف سُحقًا بل ومليار سُحقًا، أنهم مذنبون، مذنبون لدرجة أن مجرة اندروميدا تراقبنا لأنها أقرب مجرة من مجراتنا درب التبانة، ونعيش هنا في نقطةٍ تسمى كوكب الأرض، يحدث كل ما يشيب رؤوس مَن يسكنون في اندروميدا، لذلك أقول سُحقًا، يا أمي، قدماي على الأرض ورأسي تائه في مجرة اندروميدا.

- النجاة الوحيدة يا بُني في تلك الحياة العبثية، هي التمسك بالفكرة.

التمرد ليس غامضٌ، كما يعتقد البعض، الإيمان هو الأشد غموضًا، ما بين التمرد والإيمان شعرة تم قطعها بالشك، على عدم مصداقية فعل دنيء مرتبط بالإيمان الأعمى، يا أمي، قد احتسيت الإلحاد لفترةٍ ما، ولم أحب تذوقه، بسبب تفسيراته الناقصة.

- أمر معقد للغاية، أن تكون ضائع بين الإلحاد والإيمان، لا تتخلى عن صولجان السؤال، يا فيلسوفي النجيب.

شهيد ضحية التطرف فرج فودة، كان يسعى لدولة علمانية ولم يتقبلوا الفكرة معتقدين بأن العلمانية كفر بالدين وإلحاد، ولا يدرون أنها مظلمة لحماية جميع حقوق الدين ولكل فرد من أفراد المجتمع يتحلى بالعبادة كما يروق له حتى وإن قام بعبادة الحجر، هو ليس ضد الدين ذاته ولكن كان ضد المتأسلمين الذين يستخدمون الدين بشكلٍ خاطئ تمامًا، كان يريد وقف الدماء التي تحدث تحت راية الدين، كانت له نظرة مستقبلية فيما يحدث الآن، تكلم عن الصراع الشيعي والسني من قديم الأزل، بالإضافة أن العلمانية تحافظ على جميع حريات الرأي، والانصات لها، دون تعصب دون جهل، كان يريد وقف سبي النساء وبيعهم في سوق النخاسة، الموجود الآن بالدولة الداعشية، دائمًا يرفعون راية الجهاد، المشكلة ليست في الدين مُطلقًا بل في الذين يستخدمون خطابات الكراهية ضد كل دين مختلف عن انتمائهم لدين آخر، فالجميع يمارس التطرف بشكلٍ أو بآخر، يا أمي.

- يريدون دائمًا مقاطعة الإنسان، كل مَن يتظاهر بالتقوى اقتنع أنه فَجَرَ.

شوارعنا ينقصها كل شيء، البهجة الحب الفن الابتسامة، العازفون الراقصون، ينقصها عدم التدخل في شؤون الغير، شوارعنا تنقصها حياة، لكِ أن تتخيلي أمي، لو تم وقف سماع فيروز لأنها ارثوذكسية، أو عدم الاعتراف بنزار قباني كشاعر لأنه مسلم سني، ولا نقرأ للأديب السوري محمد الماغوط لأنه إسماعيلي، ولا للشاعر أدونيس لأنه علوي، ونبتعد عن فارس الخوري في كتب التاريخ عالم وزعيم وطني سوري ومن قادة الكتلة الوطنية التي حاربت الانتداب الفرنسي لأنه مسيحي، أو سلطان باشا الأطرش لأنه درزي، غاندي الملهم الحر الذي ألهم الكثير من الأحرار وهو هندوسي إذن لنبتعد عنه، اليهودي أينشتاين أعطى الكثير من العلم للبشرية هو أيضًا نبتعد عنه، نعم يا أمي كما قُلتِ يقاطعون الإنسان الذي صنع الحاسوب واللاب توب والجوالات لنقاطع أيضًا كل هذا لأنها من اختراع رجل لا ينتمي لدين، تبًا للازدواجية التي تغمُرهم، المقاطعة الحقيقة ليست مقاطعة الإنسان، بل مقاطعة الشر من الداخل، أولًا لأنه يمحي الهوية والتراث والعلم والدين أيضًا، ونحن نريد أن نزيل الشر من الداخل لنتمكن من رؤية جمال العالم كما يجب أن يكون.

- لقد صدقت يا بُني، هنيئًا لي على ابن مثلك.

أرى نفسي نتيجة لنبتة صالحة قد زرعتيها يا أمي، وقد تم تكفير الكثير سابقًا وصور مختلفة من العنف والتنكيل مثل؛

١- "جابر بن حيان": وهو أول مَن استخدم الكيمياء عمليًا تم اتهامه بالزندقة والكفر.

٢- "أبو بكر محمد الرازي": وهو من أطباء الإنسانية على الإطلاق، وبرع في الرياضيات والعلوم والفلسفة والفلك والأدب والمنطق، وتم اتهام الرازي بالإلحاد والزندقة.

٣- "ابو علي بن الحسن بن الهيثم": وهو من علماء الإنسانية في علم الفلك والفيزياء والفلسفة العلمية، أعتبره البعض ملحدًا خارجًا عن الإسلام.

٤- "ابن سينا": كان طبيبًا بارعًا تم تكفيره ووصفه بالملحد الزنديق.

٥- "ابن رشد": عرف بشرحه لكتابات أرسطو، واشتهر ابن رشد بكتابه "تهافت التهافت" وكتاب "فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال" الذي أكد فيه التفكير التحليلي كشرط لتفسير القرآن خلاف ما هو متداول في التفسير، واعتبروه فيلسوفًا ضالًا ملحدًا، وغيرهم يا أمي من الفلاسفة.

- أحسنت يا بُني، فخورة بك كثيرًا، إذن عليك الاستمرار في البحث ولا تتوقف أبدًا، لتفيد البشر الذين يقرأون لك مقالاتك البحثية، فلا تقلق من شيء، سأظل فخورة بك وحتى إن لم يقتنع بفكرك أحد.

أحبك أمي وربي يجعل تشجعيك لي دائمًا.

****

"فشل ذريع"

لا وجود للقصاص، لعزف الأداة الحادة على أوتار اليد، ولن تكف الرقص، أثناء العزف، إذا كنت تهاب من شيء عليك ممارسته بشدة الاستمتاع به، ما زالت الضحكات تأتي بشكلٍ مستمر، ولكن هناك شيءٍ ما بالداخل، غير مفهوم، أرقص فحسب في سبيل تحقيق الفوز باقتحام نفسك، ليروقك كل أمر تفعله بصدرٍ رَحِب، دون ندم، دون الشعور بالذنب، جلد الذات اعكس مساره، الوعي أمر يصعب على المرء وصوله، حيث أن تتعافى من الأوهام، عليك أن تستقيم في حبك لنفسك، الطريق طويل، لم ينتهي بعد، وإن انتهى يمكنك حينها أن تكون راضيًا، وأرحم نيرانك الداخلية قم بتهدئتها بالرقص، لتتفادى ظهور الدخان من جسدك الهزيل الذي يكاد أن يخرج بين ثناياه، لم يعد يهمني الأمر لأن العقل فقد محتواه.

- عليك أن تعلم أنت جيدًا، بأن الأمر أشبه بقطعة خشب تطفو فوق سطح البحر، وإذا حاولت انتشالها، ستصيبك أشواكها، لمسة فقط لا أكثر، كالقنبلة التي لها فتيل إذا قمت بالعبث به ستنفجر في وجهك.

هادئ أنت بداخلك ضجيج، صامت بداخلك حديث، عاقل بداخلك جنون، مضيء بداخلك ديجور.

- فلتصمت يا صاح قليلًا، لِما أنت تؤلمني هكذا!

ربما وليس تأكيدً، قد أكون مررت بما تَمُر به.

- لم تقل لي على اسمك بعد!

لا يهم الاسم الآن، سوف تعلمه لاحقًا.

- حسنًا، قطرة ماء، كسرة خبز، قلب مفعم حياء، روح مليئة وخز.

أعلم هذا يا رفيقي، لأن طريقك ليس له إتجاه، غارق بين ثناياه، عقلك فقد محتواه.

- نعم هو كذلك، والمُصلي فقد خشوعه، بعد أن كان غارق بالسجدة بدموعه، وكادت السجادة تُخرِج بئر ينبوعه.

تعاني من زحام أفكار.

- ماكث بين سجدة جنة، وخائف من سجدة باطلة تُدخلني النار، فقدان شغف الربة، قالت الكتابة حرام لأنها تغار، ملعونة أنتِ يا عيوبي، مجرمةٌ أنتِ يا ندوبي، أحمق أنت يا جلد الذات، أصمت يا عقل الملذات.

كفاك ضحكًا على نفسك، والتزم بالصمت في سبيل إرضاء الذات.

- إنها مشيئة الرب، فعليك أن تكُف عن الندب، فتبًا لي ولقلبٍ حب، سعيد ومن جهة أخرى أزدري السعد، تفكير صائب، مضاد للأكسدة، قلب خائب، لترادف الأفئدة، ندوب مرسومة، يعتقد الجميع من الخطأ معصومة.

الإصرار على تفكيرك هذا سيجعلك وليمة عشاء دسمة للفئات الأخرى، ولن تكن كصخرة صلبةٌ مثل الآن.

- ربما الابتلاء الذي أنا عليه، هو مجرد امتحان لطريقٍ سوف يتضح لاحقًا.

صدقني لم تتلقى رحمةً من أحد.

- لا أريدها رحمة الرب واسعة لا يشوبها غبار.

إن لم تتأقلم، لن تجد سعادتك في وسط القطيع.

- في إحدى الأيام، مديري قال لي: ستفشل.

قلت: نعم معك حق، وقمت أيضًا باختباره، وهو أنني أوقفت الجدال معه، وأنصت جيدًا له، وسمعت كل كلمة دون الاعتراض عليها، ثم أقام اجتماع مخصص لي، وقال لجميع الزملاء، أن هذا الذي أمامكم سيكون له مستقبل باهر في العمل، علمت حينها حكمته في عدم جداله في شيء، وأنه دائمًا على صواب، إزداد فضولي أكثر وتمكنت من معرفة أنه يريد مني أن أخبره بما يحدث خلفه، ولم أفعل لكنني أدركت حينها أنه مدير فاشل للغاية.

ثم، ماذا؟

- ثم تركت العمل وأصبحت عاطلًا، هاهاها.

****

"الكـارثة"

لم أجد طريق صائبًا بعد، فكل الطرق تؤدي إلى حدوث الكوارث، عليك التخيل أنت تسير نحو مكان ما لا تعرف ماهيته، ثم وصلت لذلك المكان الغريب بالنسبة لك، وبدأت في البحث عن روحٌ تائه، ما بين عناد لا يفيد وصمود أيضًا لا يفيد، كيمياء جسدك لا تتقبل كل ما يتعلق بالراحة والاسترخاء، وتشعر بأن كيان خفي يكاد أن يجعلك تختنق خوفًا من كثرة التفكير بالمجهول، لا أحب الجدال بالحزن، لأن هذا الأمر يجعلني أشعر بالغثيان، واعترف كوني أظهر أمامك بصمود العصيان، في كل حال تسأل السؤال المعتاد فالجميع يسأله، والإجابة تكون بخير، ولكن أي خير هذا، أين هو؟ لا أجده بعد ولكن أريده أن يتجسد لي، لكي أعرف ماهيته، مصنوع من شيء، أم مجرد شيء بيولوجي يحركنا! وتقف أمام سؤال آخر، الشر هل هو أيضًا يحركنا! لا

أدري، لكن كل ما أعرفه بأن الله لم يخلق الشر، ولكن نحن فعلنا، ولا أدري ما السبب!

- يا لك من أحمق، بل شديد الحماقة.

مَن أنت!

- لا يهُم الآن، لكن عليك أن تدرك بأن الشر الذي تحدثت عنه هذا سوف تقتنع بأن له أهمية كبرى في حياة الإنسان، الإيمان به وإتقانه هو الطريق الصائب الوحيد الذي يجب عليك أن تتخذه.

أنا لا أفهم شيئًا مطلقًا، لا أدري ماهيتك! أنت صوت ما لا أعلم مصدرك جيدًا، لكن الذي أريد فهمه هو، ماذا تريد مني؟

- قررت الخروج من داخلك، لأحميك وأعتني بك، وأصادقك وأفهمك ولا تحتاج إلى تبرير شيء.

أواجه مشكلة ما، أرى الجميع ينتحرون، ما الدافع من ذلك؟ وما هي الأسباب التي أدت إلى التفكير بالانتحار؟

لدي بعض الأسئلة الأخرى، لماذا عليّ أن أكون صامدًا؟ ما فائدته؟ هل الشمس تدل على إشراقة أمل؟

- الصمود يشبه اللبن المسكوب، الملطخ بدماء ثدي الجاموسة، الخوف من الشيء الذي تهابه، الخوف من الخوف، يدل على شجاعتك.

سؤال فضولي آخر:- ما الذي يلمع بيديك؟

- قنينة من أفخم أنواع النبيذ الفاخر.

أخاف من الخمر، لم أجربه قط.

- إليك به، مجرد تجربة لا أكثر، تفضل.

يحرق حلقي بشدة، إنني أشعر بدوار، لكنه شعور جيد، أريد كأسًا آخر.

- أريد قول شيئًا لك، بعد تلك التجربة، لا تجعل أحد أن يحتسي كأسك لكي لا تشعر بالظمأ.

هاهاها، أضحكتني يا هذا، انصت فحسب، الشعور بالظمأ أفضل من أن تقتل جزء بداخلك، لكي يحيا أغلب أجزائك، بشعورٍ زائف، أحمق.

- يعجبني ذلك الوعي الذي يتسرب من تفكيرك، أيها المخمور.

لست مخمور بل أنت، الوعي مرض يصيب الحكماء فالحكماء يعلمون.

- ماذا عن الجهل؟

هو وعي أيضًا، لكن لم يكتمل بعد، وجد راحته فتوقف نموه.

- ماذا عن نمو الوعي؟

يريد الاتساع أكثر، يريد أن يكون فجوة، تشبه الثقب الأسود، يبتلع كل مَن توقف نموه.

- عيونك مليئة بالدموع، ألا تدري بأن هذا مخالف لأنك رجل.

العيون هتكت عذريتها، حين ادمعت، فسحقًا، لمَن قال بأن الدمع الذي يذرف، بأنك لست رجلًا.

- تحدث معي، لماذا أنت صامت هكذا؟

الصمت إحدى علامات النضج، فلا تظنوا الظنون، لكوني صامتًا، أنا لا أعاني مِن مَن يظنون بي السوء، لا أرى صورتي من خلالكم، بل أرى صورتي من داخلي، يروقني الصمت لأن حديثي سوف يكون أشد قسوة مما تفعلون، لذلك لا أكترث لكم، بل أشفق.

- ستحظى دائمًا بنوبات الهلع.

هاهاها، أنه وهمٌ ممزوج بخيال الفزع.

- في أي مكان تود أن تذهب إليه!

إلى حيث لا أحتسب، إلى الجحيم أو ما شابه ذلك، لكي أهدي لها التفاحة.

- ماذا عن تلك الشياطين الذين يمسكون السبح؟

نعم أعرفهم جيدًا، هم مثلك تمامًا، لا بل أنت واحد منهم، تمردي عليك هو مَن أتى بك هو الذي خلقك، وبسبب أني غير راضيًا عن قانون الغاب، الذي يستخدمه الكثيرين في مجرى حياتهم.

- ما الذي تتفوه به أنت تتهمني؟!

لقد كنت أنت ذات السلطة أيها النصف الآخر اللعين، ولكنني تقيأتك.

- رغباتك ستكون ملحة أكثر وأكثر ولن تتخلص منها، لذلك أريد انتشالك أيضًا من عزلتك هذه.

العُزلة أهون من مواكبة هذا العصر، اجتمعت الأفكار المختلفة، ليس بمحض صدفة، لا إطلاقًا بل لتدرك وتنضج أكثر، ولكن لا تتخلى عن المبادئ.

"أرض الشائعات"

الانجراف، الانحراف، الاختلاف.

كلاهما جرائم تستحق النقاش، العقل فقد المنطق، وأصبح قطعة قماش، صباح الخير لا يهُم الوقت قد استيقظت للتو، مسائي هو صباحي، وصباحكم هو مساءكم، الذهاب للعمل أمر في غاية التهور، ستقابل أوجه تضحك، تحزن، ملامح مجهدة، أقدام حافية، قلوب خاوية، عيون باكية، الثلاث أشياء التي ذكرتها هي الجحيم ذاته، ولكن احترم الاختلاف، لأن الإيمان بالفكرة أعظم ائتلاف، إنما الأولى والثانية، قد تعجز عن التحكم بها وقد تفلح، ولكن هناك جحيم سيحطمك أقصد بركان سوف ينفجر بوجهك، هذه الساحة ليست للحب بل للحرب، سأحظى شيءً من العمق وأقول بحذف الراء، فكان الجميع على مقربة من تقديم القرابين للآخرين، تبًا، ليس تعميم، ليحظوا بشيءٍ من النعيم، وانقطع حبل أمل الوريد، فقال الله تعالى:

"نحن أقرب إليه من حبل الوريد"، عليك إنجاز مهامك بجدارة، أذهب إلى جانب آخر بداخل رأسك، لتتجنب بؤسك بحرارة، وارتياح، وكُف عن النباح لن يفيدك أحد، بكت حين قسوت، ولم تنجوا من تلك الدائرة، إن لم تجد لغز مفتاحها لن يتم فك أسر صراح عقلك، صدري مليء بالاحتفال أقصد النيكوتين، قالوا أني أدخن بشراهة، ونعتوني باللعين، أتمنى أن أغادر حقًا، ولا يخرج من صدري، إدمانها، أحببتُ أشواكها، في صراعٌ لن يكُف عن الدوران، كالثور في الساقية، فتبًا لتلك الندوب التي ما زالت باقية، سأظل مقتنع بأن الضحكات هي دليل على وجود الخيبات، ولن أكُف عن التهام القهوة التي أضع بها الحبيبات، منوم ربما، جائز يكون سم، لكن لا أدري بشأن البحوث والدراسات العلمية في الدخول لتفاصيل النفس البشرية الصانعة للشر، وما بين نفس أخرى تائهة بين ثناياه ضائعة، خاضعة، سحقًا.

- أنها لحظات الملل أعرفها جيدًا حيث قال: شوبنهاور عن الملل، يا كريس.

"الرغبة والسعي هما جوهر حياة البشر حيث يمكن تشييعهما بالعطش الذي لا يروى، فالرغبة تكون مبنية على الاحتياج والافتقار، وهذا هو الألم، هذا هو المصير الأصلي للحياة، الناتج عن جوهرها، من جهة أخرى، لو لم تجد الحياة ما تشتهيه، لأن ما كانت تشتهيه لم تعد تشتهيه، لأنها نالته بسهولة، وهنا تجد نفسها تعاني من فراغ شديد وملل، أي تتحول ماهيتها ووجودها نفسهما إلى حمل لا يحتمل، فتتأرجح الحياة ما بين الألم والملل، حقًا هذان هما مكنوناها، وقد تم التعبير عن هذه

الحقيقة بالقول: بعدما وَضع كلّ الألم في الجحيم لم يبق للسماء إلا الملل. "العالم كإرادة وتمثلًا".

أنصت يا عبد المسيح، أشعر وكأنني ورقة مطوية بين طيات النسيان، قافلتي لم تذرف الدمع بل نزفت دمًا، معي مسدس اتظاهر بأنه به طلقات الرصاص، وأنا أنظر إلى المرآة، وأضع فوهته في منتصف رأسي، أمتلك قلبٌ منقسم إلى نصفين، الأول لَين والثاني خشن، أمتلك ملامح بريئة حين أغضب تظهر عروق جبهتي صارخة، ولا يصدر جسدي أي رد فعل آخر غير هذا، وحين يروا ذلك المنظر، أرى أنا ملامحهم الجبانة على وجوههم.

- أنها مجرد شائعة من شائعات العقل التي يصورها لك.

كنت ذلك الطفل الذي يرى سوبر مان هو بطله الخارق، لأنه كان عابرًا للسماء بل الفضاء بأكمله من مجراتٍ وكواكب، والثقب الأسود أيضًا، حينها كنت مندهش حين أمسك بنيزك كاد أن يصب غضبه على كوكبنا الذي يسمى بالأرض، ثم أنقذه من ذلك الغضب، بتفتيت مصدر الغضب، ما زلت ذلك الطفل، الذي يرى حلمه عابرًا للسماء، بل الفضاء بأكمله، طمعًا بتحقيقه، ممسكًا به كما فعل سوبر مان بالنيزك، الذي يكاد أن يحطم كوكب الأرض، وحطم سوبر مان حلمه حين فتت مصدر الغضب.

- قمت بفتح باب كنت اقتنع أني أغلقته، حكمت المحكمة حضوريًا "إعدام"، حيث قلت: أي إعدام أيها القاضي؟ نفسٍ لا تقوى على فعل

شيء، تتجاهل كل عقبة من عقبات الحياة، تدعو الله، فكيف تنهي حياته بإصدار حُكم؟ لا أهتم لأني ميتٌ بالفعل، نهشوني، فعلوا ما لا يستطيع أي قاضي فعله، سوى إصدار الأحكام، كطلقات نارية، وهناك نفسٍ تعاني من زحام شديد بأشياء بشعة داخل رأسها، نفسٍ كانت ستصدر حُكم الإعدام على نفسها منتحرة، خنقًا أيضًا، وبالفعل قامت بتحضير البذلة الحمراء، ولكن بالإضافة أن تلك النفس الهشة ستكون ثملة تمامًا لكي لا تشعر، سحقًا، كم أحبك أيها القاضي؟! لأن حلمي الوحيد الذي تحقق هو "الإعدام".

- أنصت يا عبد المسيح، لا بأس الإنسان ملئ بالعجز، هيا لنكسر ذلك الكأس، لنصوب نحو أهدافنا، لنحلق بها عاليًا، لنحتسي القهوة سادة، بصفاتها المُرة، هكذا النجاح مثل القهوة، يجب أن تفشل وتفشل وتتعلم، من مرارة الفشل، ولا تكُن مثل مدمنين الكسل، وتقول فشلت أنت لم تفشل، هو فقط تحتاج إلى أن تصل لآخر رشفة في الفنجان، والصبر والسلوان الذي يغمُرك في حد ذاته امتحان لطريقٍ صائب أنت عليه بالفعل.

****

"تـائه"

هناك شيءٍ ما تائه عني، ألم ما أشعر به، ولكنني غفلت عن معرفة مكان الندوب، أين هي بالضبط؟ لا أدري، ما هو المفترض أن أشعر به؟ هل سأظل أبحث عنها كثيرًا؟ أريد تهدئتها لم تكُف عن المضاجعة، وتعبت أكثر فأكثر، ندوب كثيرة لا أعرف ماهيتها!

خذلان من صديقٍ من حبيبٌ من الأهالي، أشعر أني جاوزت سن الشباب وأصبحت كهلًا، لا أدري، ما العمل؟ هل أنا السبب؟ أم هم!

حقًا لا أعرف أي شيء البتة، أصبحت مثل بذرةٍ تنتظر قطرة ماء واحدة لتصبح نبتة، لقد تم كسر قلبي بجدارة من إحباطهم لي، ولكن ذلك الإحباط قد خلقني، ولكن لم أجد السلام بعد، ومن جهة أخرى لا أتحمل تلك الحروب، سأبتلع تلك الحبوب، ربما أرتاح، هنا تائه في اللا مكان، ومن جهة أخرى لدي الإمكان، من فعل أي شيء يخص كل شر، لأقتنع بفكرة أنه مجرد نزوةٍ لا أكثر، فاحذر أن تكون فريسته، لا

أخاف ومن جهة أخرى أرتعب كوني، كهلٌ جاوز سن الشباب، وترك بقايا أحلامه تُحَلِّق كالطائرة الحربية، التي لن تَكُف عن شراهة وقوع فريستها إلى التهلكة لتفوز، وتعلن راية الفوز، مكتوب عليها، " تبًا لتلك النفوس التي اقتنعت بالشر فأصبحت ضحيته"، هل فهمتِ ما أود قوله يا يسرا؟

- قد فهمت بعض الشيء، ولكن لدي سؤالٌ، ماذا لو قلت لك بأن تلك الندوب مصدرها ذاتك؟

أجلس على المقاهي، وأتسكع هنا وهناك كشريد، لم يجد نفسه ظل سجين عقله، ماكث في الطرقات، يبحث عن شيء تائه عنه، ولم يجده بعد، وذاتي تائه عني ولم أجد سوى بقايا إنسان محطم، كئيب، انطوائي، عاشق للقهوة ويدخن بشراهة، ليتوقف نبض حياته، والسؤال هنا، هل من أحدٍ سيتذكرني حين يرون نعشي حملوه بعض الأشخاص؟

- نعم يا محمود، سيتذكرونك ويعلمون قيمتك حينها ولكن بعد عمرٍ طويل.

يسرا حديثك هذا يفتح مجالًا آخر من فيضان الأسئلة داخل رأسي، مثل: لماذا يخذلوننا يحطمون آمالنا يسعون إلى آذيتنا يحبطوننا يكرهوننا يحقدون علينا؟ الجميع يفعل هذا ولا أدري ما الفائدة! يا الله.

- رأسك مليئة بالضجر!

أني أغرق بعالم كبير داخل رأسي، أغرق وأريد التشبث بالقشة، التي بها الأمل، تبًا لذلك الصراع الذي يتوغل ويغمُر عقلي، صراعٌ أبدي لا

ينتهي، يفتت ثنايا العقل الروح الجسد، يفتت كل شيء وأي شيء يقف أمامه، وهو ما زال صامدٌ ولا يدري، ما الشيء الذي يصمُد لأجله؟

- تفكيرك هذا سوف يلقي بك إلى التهلكة.

التفاصيل يا يسرا، لا استطع إخراجها من رأسي، كم أتمنى أن تخرج حقًا!

- ألم تكُن لديك حبيبة؟

فعل ماضٍ كان لدي، لكن هي كانت الداء والدواء، حين قام بعضي ثعبان يحمل بين أنيابه السم، حقنت ترياقها بداخل وريدي لينهي السم مفعوله، قامت بخدش يداها لتنفجر من عروقها دمائها، قائلة: بحق هذه الدماء، هم خذلوك جعلوك تشعر بالقلق والتوتر، وأتيت أنا لأغير مسار سمومهم وأنهي المهزلة، وعليك أن تكُف عن التفكير بإنهاء حياتك باستخدام المقصلة.

- محمود أنصت لي جيدًا، افهمك ولكن مَن حولك ماكثون بين أنقاض أفكارهم، بينما تحررت أنت من تلك الأصفاد، فقاموا بنعتك بالجنون.

وماذا بعد؟

- لا أدري يا محمود، ولست على دراية كافية لِما تشعر به، أنت وحدك الذي تشعر لكن عليك أن تنظر للأمام ولا تنظر للخلف مرةٍ أخرى، السقوط ليس نهاية المطاف، سوف تنهض مجددًا، لا تخف.

وسيظل السؤال دائم وقائم، أين أنا بعد أن أنهض؟

"العـامل المـذلول"

لم يكُن لدي أدنى فكرة على المستوى العالمي لحقوق الإنسان، ولكن أدركت أن هناك في إحدى بقاع الأرض، حول العالم أجمع، مَن يموتون جوعًا مَن يلوذ بالفرار لإيجاد كسرة خبز، تؤنس معدته، ولم يجدها، وليس هناك الكثير من الوقت لعدم الفهم، في أن السرقات التي تتم وجرائم القتل وغيرها، مصدرها الرئيسي المال، المال الذي يقتل، المال الذي يسرق، المال الذي يغتصب العقول، المال الذي يشتتها يغتالها ونحن نستسلم له دون شك، لأنه يقين ملموس بالفعل، فكيف نشك في قدرته؟ قدرة كبيرة للغاية ولها متطلبات كثيرة وتنازلات أكثر، تريد أن تصبح غنيًا إذن عليك أن تكون ذكيًا، وسريع الاستيعاب والفهم، ستجني الكثير من الأموال والعملات الخضراء وكل الألوان، فتلك هي إحدى متطلبات المال، قبل أن أنسى مطلب آخر وهو أن تسمع ما يُقال لكَ، ولا تعترض، لأن طاعة الأوامر، هي التي سوف ترفع

شأنك كثيرًا، تنازل عن مبادئك في سبيل إرضاء العملاء سيفرح صاحب العمل أكثر، سيقتنع بفكرة أنك خائف على العمل ومن ثم سيجعل منك سكرتيره الخاص، أو سائق سيارته، ولن تلجأ إلى الذل مع العملاء وارضائهم مرةّ أخرى، ولكن ستنتقل إلى مرحلة أشد خطورة في التخلي عن مبادئك التي كنت تؤمن بها، ولكن وقتها سوف يرتاح ضميرك في التخلي عنها ولن تلوم نفسك، يجعل منك عبدًا له لو كان متكبراً، وأنت سوف تتألم مع خروج كل مبدأ من مبادئك، أبسط الأمور سوف يجعلك تقوم بشراء سجائره الخاصة من إحدى المولات الكبيرة التي تبعد عن قصره، بمئات الكيلومترات، لأنه سادي وسيختبر صبرك في تحمل المشاوير الطويلة، سيجعلك تقوم بتوصيل أطفاله إلى الحضانة كل يوم، وفي الليل تذهب مع زوجته وهو وأطفاله، للتنزه والجلوس في إحدى المقاهي والمطاعم الفاخرة، وفي العطلة الأسبوعية سيجعلك تحتسي الخمر معه في إحدى الحانات الفاخرة أيضًا، وسترقص وتدمن الرقص مع قنينة الخمر التي بيديك، يا لها من حياة جميلة، وقبيحة بسبب أنك تحت طائلة جلب المال، وأحببت تلك المعيشة، تأكل وتشرب وتمرح بغض النظر عن أي شيء يعكر صفو ذهنك، لأنك قبلت بهذا، وهذه حريتك، ولكن عليك أن تتحمل عواقب فعلتك، الصعود إلى أعلى شأن ليس بالأمر السهل، وليس هذا فحسب سيجعلك تنظف المرحاض والمنزل بأكمله، وستنظف الملابس والسراويل الداخلية، يا له من إنسان قبيح للغاية، وأصبح ينبذ تلك العيشة قد مَل منها، لم يَعُد يحتمل، ولكنه أصبح يجني الكثير والكثير

من الأموال حتى أمقت وأبغض المال، شعر بالضجر تجاهه، يجلب كُل ما لذ وطاب لنفسه الذليلة الدنيئة، حتى امتلأ قلبه بالدنس.

- نعم نعم يا أمجد، هو يخاطر بحياته لا يخشى شيء مطلقًا، هناك اقتباس قرأته من كتاب "لفردريك نيتشه، شوبنهاور مريبًا" يقول فيه "الإنسان مجبر أن يعيش حياته بجرأة وخطر، وخاصةً لأن الإنسان سيفقدها في كل الأحوال".

قالت أيضًا "جيم كاري": أتمنى أن يصبح جميع الناس أغنياء ومشهورين ويَحصلوا على كُل ما يَتمنوه، حتى يتأكدوا بعدها أن هذا ليس هو الحل.

- لكن من المفترض يا أمجد، أن يعتزل ما يؤذيه!

أنه فعل ذلك حقًا، لسنوات طويلة جدًا، بأي حق تم خذلانه! فكيف له أن يعتزل نفسه؟ يا هاني.

- عندما تكتشف جوهر الحقيقة، فشكرًا على الألم المتسبب في اكتشافها.

ولكن يا هاني، السماءُ تنتفض، وتعلن تمردها، رعدها ينخفض، وبرقها يزين صمتها، فهنيئًا لكأس الفودكا والناي، وكتاب وموسيقى وكوب الشاي، وتحية لشرود الذهن الصاعد، ما فائدة المسرحية التي يقتل بطلها؟ ويصفق له الجميع على الأداء الممتاز، إنما الموت الحقيقي هو مجرد عرض حصريًا لكنه بدون جمهور، فلتسقط الأمطار على صمت القبور لتنبت الزهور، فلتأخذ سيجارة.

- لا يا أمجد التدخين مضر بالصحة.

ليس مضر بل الحب هو المضر، وأنت لا تعلم ما مدى عمقه، الصداقة مضرة فأنت لا تعلم ما مدى صمودها.

- أنت تؤذي رئتاك.

أعلم ولكنه هو الرفيق والونس، أفضل من علاقات زائفة مليئة بالدنس.

- ماذا عنك يا أمجد؟

تقصد عنا، فنحن أموات يا رفيق الدرب أشكالنا كالتالي: جسدًا ذو روحٌ بائسة، وجه شاحب وجسد هذيل يسعى إلى الذوبان كما الملح، لكن لا بأس، وماذا عن حالك أنت يا هاني؟

- حالي يا رفيق كما ذكرت، سوف تشهد الندوب على ذلك، كلانا نصمد أمام ضربات الحياة القاسية، كلانا نسعى إلى تحقيق المراد، كلانا نسعى أن نعيش بسلام، كلانا لا نريد الاستسلام، لكن أرواحنا البائسة تعلن استسلامها.

يا صاح مع الأسف، أفلاطون ليس هنا لقد مات وماتت معه المدينة الفاضلة، التي كان يسعى لتحقيقها.

❊❊❊❊

خاطرة للكاتبة الواعدة

"لمياء علاء الأعصر"

كذبتُ حينما أخبرتك في حفل زفافكَ، بأن سعادتك إن كانت مع غيري فسأكون سعيدة لكَ، فوالله ما كان بعد قولي هذا إلا سكينًا حادًا أراه منغرزًا في منتصف القلب،

أيعقل بأنني سأكون سعيدة وأنتَ بعيدٌ عن قلبي؟!

مَن قال ذلكَ؟! ومَن حرّم علينا اللقاء؟!

أخبرتكَ حينها بأنني سعيدة، وما أنا إلا جثة هامدة، أعذرني فقد سرقتُ حبكَ وفي قوانين الحب السرقة مباحة...!!

كن على يقينٍ بأن حبكَ منقوشًا في قلبي، مزخرفًا في كلامي، موجودًا في نظرة عيناي لك، معكَ قد فُتنتُ في حبكَ، وتهتُ في بحور عشقكَ، ومتُ مِن بَعدكَ وفي بُعدكَ ترياق العشق قد انقلب لسُمٍ لا شفاء منه أبدًا. فسرطان العشق يسير بالدم بحثًا عن خلايا الحب، فيميتها ويذيقها من الويلات والآهات، لم أكن أدري بكل ذاكَ إلا بعد جملتي تلكَ في حفل زفافكَ، كنتُ أهنئكَ على زفافك، و لم تكن تعلم بأني أُعزيكَ في قلبي، تلك الدمعات كانت للعزاء ولم تكن يومًا دموع الفرح كما يقولون، فمن قالوا ذلك لم يتذوقوا طعم العشق، وأنا قد تذوقتُ وكان المذاق مُر، أرادوك لغيري وأرادوني لغيركَ، ولم يعلموا بأن الحب بيننا حرًا طليقًا لا يقيده عرف أو زمان.

***

خاطرة أخرى

"لمياء علاء الأعصر"

كان كلامي دائمًا يأخذونه على محمل من الهزل والسخرية لكوني أصغر منهم سنًا، لم يعلموا بأن العقول كان لها من النضوج نصيبٌ كبير، كنت أتفادى سخريتهم بالصمت، أتجاوز حالات الهرج والمرج التي تعتلي حديثهم بالضحك، كنت معهم أشعر بالوحدة والتوحد في آنٍ واحد، وهو شعور يصيبني بالغثيان دومًا، أما هو فكان مختلفًا، كان كلامي معه يشعرني بحريتي كعصفور محلق في سمائه، كان التواصل بيني وبينه بالأرواح والنظرات، كان حنين نبراته يصب في قلبي صبًا، كان يلضم جروحًا ويضمد آلامًا، كنت أشعر بالحب في عينيه عندما كان يرمقني بهما، كانت نظراته دافئة، تمنيت لو أن الكون بمن فيه يتلاشى

ويبقى هو برفقة قلبي، عندما كنت أتحدث معه، أشعر بأني كالملكة تأمر وتنهي بأمرٍ من جلالتها، كانت ابتسامته حين حديثي معه لا تنقطع، وحينما نكف عن الحديث أشعر بقلبي يضطرب، وكأن هناك أحبال شائكة في الأوردة تمزقها، تمنيت فقط قولها منه ليهدأ صراع قلبي وعقلي، تمنيت لو قالها لسكنتْ نبضاتي، ولكن ما زالت الأمنية عالقة في فؤادي بعد،

ولا أدري هل سيقولها أم سيضحى قلبي شهيدًا يومًا ما؟!

في كلتا الحالتين أنا وقلبي فداءً للحياة.

***

الفهـرس

"كش ملك"	١٥
"انتهاء الحفلة"	٢١
"ريمة"	٢٧
"انتحار"	٣٣
"تبًا"	٣٩
"الصمت"	٤٥
"الوحدة ليست صحراء"	٤٩
"غرائز البشر الحيوانية"	٥٥
"المهدي المنتظر"	٦١
"ورقة تاروت"	٦٥
"بداية أم نهاية"	٦٩

"ملاذ المجد" ٧٣
"احتساء الشر" ٧٧
"محتوى مفقود" ٨١
"يقين مبعثر" ٨٥
"فشل ذريع" ٩٥
"الكارثة" ٩٩
"أرض الشائعات" ١٠٣
"تائه" ١٠٧
"العامل المذلول" ١١١

حسن أشرف

غرائز البشر الحيوانية

دار إبهار

تطابقت الزوايا فأصبح الجميع متشابهين في ممارسة القبح، وكان الناجي الوحيد هو الذي خالف ذلك التطابق؛ ليكون طوق نجاة لأحدهم.

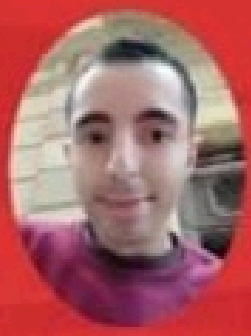

حسن أشرف من مواليد محافظة الجيزة عام 1994م، صدرت له مجموعة قصصية بعنوان (صمتًا رجاءً) وشارك بمسابقة مهرجان همسة الدولي للآداب والفنون لعام 2020 بقصة قصيرة بعنوان (هلاوس مش كاتب) وحازت على المركز العاشر، وصدرت له رواية بعنوان (ما بعد اللعنة).

غلاف: عبد الرحمن محمد